OPEN ACCESS
Received: 01 -11 -2024
Accepted: 15- 01-2025

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

# Writing Independence in Southern Political Memoirs: Conflict of Discourses and Narratives

**Dr. Abdulhakim Mohammed Saleh Baqees***
hakimbagees@hotmail.com

**Abstract:**

This research explores the theme of writing independence in political memoirs authored by southern Yemeni politicians involved in the events leading to the region's independence from British rule in 1967. Despite their differing political affiliations, these memoirs reveal two conflicting narratives shaped by their distinct interpretations of specific events: one aligned with the National Front and the other with the Liberation Front. Employing a sociological approach, the study navigates the intersection of literature and history, focusing on the unique nature of the material under examination. Spanning nearly half a century, from Abdulqawi Makkawi's 1979 memoirs to Major General Haidar bin Saleh Al-Habili's 2024 memoirs, the research investigates this long and complex journey of writing, marked by periods of wandering, absence, and censorship. Divided into an introduction and two sections, each dedicated to one of the conflicting narratives, the study highlights how the 1967 independence of South Yemen, following 129 years of British occupation, remains a contentious topic in the collective national memory. Many events and details of this period remain hidden or unspoken, surfacing only within the limited scope of memoir literature.

**Keywords:** Narrative Memoirs, Political Memoirs, National Independence, The National Front, The Liberation Front.

* Professor of Modern Literature and Criticism, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, University of Aden, Republic of Yemen.

**Cite this article as:** Baqees, A. M. S. (2025). Writing Independence in Southern Political Memoirs: Conflict of Discourses and Narratives, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *7*(1): 215 -241.

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.


DOI: https://doi.org/10.53286/arts.v7i1.2402

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2024/11/01م
تاريخ القبول: 2025/01/15م

# كتابة الاستقلال في المذكرات السياسية الجنوبية: صراع الخطابات والسرديات

د. عبدالحكيم محمد صالح باقيس*
hakimbagees@hotmail.com

**ملخص:**

يتناول هذا البحث موضوع كتابة الاستقلال في كتب المذكرات السياسية التي كتبها ساسة من جنوب اليمن، وكانوا جزءًا من الأحداث المتصلة باستقلاله من الاحتلال البريطاني في 1967، على اختلاف خلفياتهم السياسية، ما شكل وجود سرديتين متناقضتين في مذكراتهم، بناء على طريقة تناولهم لأحداث بعينها، ومن منظورين يشكلان خطابين متصارعين؛ الأول في سردية الجبهة القومية، والآخر في سردية جبهة التحرير. وتقع هذه الدراسة التي تعتمد على المنهج السوسيولوجي في الحقل البيني بين الأدب والتاريخ؛ لخصوصية المادة المشتغل عليها، أما في إطار المدى الزمني المُشتغل عليه، فهو مدى مفتوح بحثًا عما أنتجته الكتابة نفسها في رحلتها الطويلة، ونصوصها القليلة النادرة؛ لأن ما بين مذكرات عبد القوي مكاوي في 1979 ومذكرات اللواء حيدر بن صالح الهبيلي 2024، ما يقارب نصف قرن من التيه والغياب والكتابة المحرمة! وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين، المبحث الأول هو السردية الأولى، والمبحث الثاني هو السردية الثانية (الأخرى)، وتوصل إلى أن موضوع استقلال الجنوب اليمني في عام 1967 من الاحتلال البريطاني الذي دام قرابة 129 سنة، يعد من أكثر الموضوعات الشائكة في الذاكرة الجمعية الوطنية، إذ ظل عدد من أحداثه وتفاصيله غائبا في مخبوء الذاكرة، أو مسكوتًا عنه، إلا في حدود نسبية من أدب المذكرات.

**الكلمات المفتاحية:** سردية المذكرات، المذكرات السياسية، الاستقلال الوطني، الجبهة القومية، جبهة التحرير.

---

* أستاذ الأدب والنقد الحديث - قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة عدن - الجمهورية اليمنية.

**للاقتباس:** باقيس، ع. م. ص. (2025). كتابة الاستقلال في المذكرات السياسية الجنوبية: صراع الخطابات والسرديات، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، 7*(1): 215-241.

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة (CC BY 4.0) Attribution 4.0 International، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.


(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
DOI: https://doi.org/10.53286/arts.v7i1.2402

**مقدمة:**

حري بنا في البداية التوقف قليلًا عند ما يحمله هذا العنوان من مصطلحات تحتاج إلى إضاءة وامضة عمّا نقصده منها، وبعيدًا عن التعقيدات والتصورات التي تكتنف المصطلحات عادة، فالمقصود هنا بـ "الكتابة" مجموعة الممارسة النصيّة المتشكلة هنا في حقل المذكرات في أثناء تناولها قصة اللحظات الحاسمة في استقلال جنوب اليمن في 1967 من الاحتلال البريطاني، أمّا مصطلح "الخطاب" فهو مصطلح خصب متداخل في الحقول والاختصاصات، وقد أصبح تحليل الخطاب إطارًا منهجيًا لدراسة العديد من الظواهر الاجتماعية والنفسية والتاريخية والسياسية، بما تنطوي عليه من خطابات خاصة (مكدونيل، 2001، ص 33).

ونقصد بالخطابات ما تحمله المذكرات من تصورات وأفكار ومضامين تشكل رؤية كلية متسقة في داخلها أولا، وفي مواجهة غيرها ثانيًا، وأمّا السرديات، أو السرديّة، فهي مجال خصب عابر لحدود الكتابة الأدبية بتقنياتها وبناها الحكائية الداخلية إلى تصور منهجي عام يُعنى بمختلف المرويات التاريخية والثقافية والإنتاج الحضاري، والذي يستمد قوانينه ومنطقه من مبادئ سردية عامة، كالتتابع والترابط والتوازن والتماسك وغيرها مما يعمل في التركيب السردي، ومن الوعي الكامن الذي أنتج نصوصها في صورتها العامة (رشوان، 2000، ص 75)، وبهذا يمكن النظر إلى استقلال جنوب اليمن بوصفه سردية تاريخية كبرى تنسجها في الوعي الجمعي مجموعة من المرويات والنصوص، بما فيها المذكرات السياسية الجنوبية، وفق منطقها الخاص وتصوراتها الأيديولوجية.

ينصرف الاهتمام في كثير من الأحيان إلى تناول التاريخ من خلال السرديات الراسخة للأحداث الكبرى، أو من خلال القشرة البادية منها في السطح، دون الولوج إلى التفاصيل الكامنة في أعماقها أو زواياها المتعددة، وخصوصًا في المجتمعات التي اعتادت دائمًا على تلقي السردية الواحدة والنظر إلى التاريخ من زاوية واحدة، ومن هنا تكتسب المذكرات والسير الذاتية أهمية خاصة في أثناء تقديمها الشهادات الفردية للوقائع والتاريخ، وخصوصًا إذا كانت من قبل الشخصيات العامة المشاركة في صناعة التحولات التاريخية، ولديها القدرة على الكتابة.

ذلك أن المذكرات ممارسة كتابية بالدرجة الأولى وترتبط بالوعي الكتابي أولًا، وبجرأة وشجاعة أصحابها في استعادة الماضي من غبار الذاكرة ثانيًا، وتكمن أهميتها بوصفها الفن العابر للحدود بين ما هو ذاتي فردي، وما هو تاريخي عام، بين ما هو أدبي ثقافي، وما هو مرجعي واقعي، وهذا التموضع البيني للمذكرات بين الأدب والتاريخ، هو ما يتيح النظر إلى الأحداث الكلية أو الكبرى في حياة المجتمعات من زوايا عديدة ووجهات نظر مختلفة، وكلما زاد عدد المكتوب منها، زاد اقترابنا من تكوين صورة كلية عن الماضي وملابساته.

وهي إذ تمنحنا متعة التلقي ومعايشة الشخصيات والأحداث والظروف، إذا ما تحقق لها البعد الجمالي في طريقة كتابتها وأسلوب صوغها، فإنها تمنحنا حصانة من أجل فهم التاريخ وتفسير أحداثه، لأنها ببساطة تعيد بناء الأحداث، وتصويب الوقائع التاريخية أو تنقض بعض المسلمات أو السرديات الراسخة.

والخلاصة أن المذكرات "سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف، وكان له فيها دور بارز، أو كان له حظ مراقبتها وملاحظتها عن قرب، ومعايشتها عن كثب، مما يتيح لصاحبها فرصة الكتابة عنها ومتابعة التأريخ لها" (آل مريع، 2010، ص 63).

وعلى الرغم مما قد يسم هذه الكتابات من الادعاء وتضخيم الذات، فهي تؤدي وظائفها على المستوى الفردي والاجتماعي، ومن بينها؛ تقديم صورة عن الذات والدفاع عن مكانتها وتخليد وأدوارها، أو دفع الظلم الذي تشعر أنه لحق بها أو بالسرديات الأخرى الغائبة عن الناس، إذ تحاول كل المذاكرات أن تقدم نفسها بوصفها خطاب حقيقة، لكنها في كل الأحوال

كتابة غير مشروطة بخطاب الحقيقة على نحو كامل، ذلك "أن كاتب المذكرات، وإن التزم أمام قرائه بسرد ما كان شاهدًا عليه أو مشاركا فيه، وبدا حريصًا على الموضوعية بذكر التواريخ واستعمال الوثائق، لا يروي الأحداث العامة في الحقيقة إلا من زاوية شخصيته" (القاضي، وآخرون، 2010، ص 381).

وبهذا يمكن أن تقابل تحفظات الكتابة من قبل صاحب المذكرات بتحفظات مقابلة من جهة القارئ، الذي يضعها موضع مساءلة واختبار.

وهنا تجب الإشارة إلى وجود العديد من الكتابات التاريخية عن الاستقلال الوطني للعديد من الكتاب، بمن فيهم كتاب جنوبيون، وبعضها مكتوبة بجرأة بالغة، وفي أوقات مبكرة نسبيًا، وتتسم بطابع ذاتي يقربها من أسلوب المذكرات السياسية الشخصية، مثل:

كتاب (اليمن الجنوبية خلف الستار الحديدي: تحليلات وتأملات وذكريات) لمحمد علي الشعيبي 1972، والذي أُغتيل بعد نشره هذا الكتاب في بيروت.

وكتاب (الجنوب العربي في سنوات الشدة) لعبدالله الجابري 1974، الذي توفي في الرياض في 1975 في ظروف غامضة.

وكتاب (الاستقلال الضائع: الملف المنسي لأحداث اليمن الجنوبية) لعبده حسين الأدهل 1986، الذي تعرض للتهديد والمضايقة كما ذكر في مقدمة طبعته الثانية.

ولهذه الكتب قيمة كبيرة في تناولها المبكر لتاريخ الجنوب اليمني في حقبة الجبهة القومية المسكوت عنها، وهي جديرة بأن تُدرس في سياق تأريخي، لكنا آثرنا التوقف في هذا البحث عند المذكرات التي كتبها أشخاص لهم صلة مباشرة بالأحداث، أو الذين كانوا جزءًا عضويًا فيها، فقدموا شهاداتهم عنها في مرحلة عمرية تالية من حياتهم، فضلا عن اشتراط أن تكون المذكرات المختارة تتضمن ميثاقًا مذكراتيًا صريحًا.

ويهدف هذا البحث إلى إضاءة فن كتابة المذكرات الشخصية في أدبنا اليمني الحديث، وهو مجال خصب لم يسبق ارتياده، عدا كتاب واحد لمحمد ناجي أحمد بعنوان: (المذكرات السياسية في اليمن) الذي صدر في 2012، واتسم بأسلوب صحافي وصفي في كتابة مقالات عن نحو ثلاث عشرة مذكرة من مذكرات كتبها ساسة وشخصيات عامة من شمال اليمن، وأغلبها عن مقاومة نظام ما قبل 1962، وأحداث ثورة 26 سبتمبر 1962، أي أن الكتاب لم يتطرق لأي من مذكرات الساسة في جنوب اليمن، باستثناء كتاب راشد محمد ثابت (ثورة 14 أكتوبر من الانطلاقة حتى الاستقلال) 2007.

وقد جاء تخيرنا نمط المذاكرات السياسية بوصفها كتابة بينية تتموضع بين الأدب والتاريخ، وتبعًا للاشتغال على الموضوع في فئة رجال السياسة في جنوب اليمن، لأنها وحدها المعنية بإنتاج سرديات الاستقلال وخطاباتها، وكذلك للتعرف على طبيعة الاشتغال على سرد الموضوع الواحد (استقلال جنوب اليمن) من وجهات نظر كتاب المذكرات، وما نتج عنها من سردية وسردية مضادة.

وقد اعتمد البحث المنهج السوسيولوجي في تتبع المسار التاريخي لكتابة المذكرات وطريقة تشكلها في إطار الفئات المشتغلة بالكتابة وإنتاج الخطابات، ومن هنا تتخذ صفة كتاب جنوبيين دلالتها على فئة المشتغلين بهذه الكتابة التي تشكلت في إطار سوسيوثقافي تاريخي.

فهل لنا بين يدي ذكرى الاستقلال الوطني لجنوب اليمن من الاحتلال البريطاني في 30 نوفمبر 1967، الذي دام قرابة 129 سنة، المحتفى بها في كل عام، أن نعيد قراءة جانب من سردية الاستقلال، من خلال ما كتبه الساسة الجنوبيون في مذكراتهم؟!. وعلى وجه الخصوص في سردية عشية الاستقلال، التي جاءت -كما هو معلوم- ثمرة صراع عنيف بين أكبر جهتين خاضتا نضالا مسلحا ضد الاحتلال البريطاني: جبهة التحرير والجبهة القومية، وحربًا أهلية دامية فيما بينهما.

بمعنى آخر كيف جاءت المذكرات السياسية تعبيرًا عن سرديتين متناقضتين، استطاعت إحداهما بفضل وجودها في السلطة أن ترسخ وجودها في التاريخ السياسي الرسمي، فيما ظلت الأخرى مسكوت عنها، وتنافح عن نفسها في كتابات أصحابها؟

أما في إطار المدى الزمني المُشتغل عليه، فهو مدى مفتوح بحثًا عما أنتجته الكتابة نفسها في رحلتها الطويلة ونصوصها النادرة، ذلك أن ما بين مذكرات عبد القوي مكاوي في 1979 ومذكرات اللواء حيدر بن صالح الهبيلي 2024، ما يقارب نصف قرن من التيه والغياب والكتابة المحرمة!.

ولأن المذكرات تنطوي على العديد من التفاصيل المتصلة بحياة أصحابها في مراحل وأحداث مختلفة، ومجال بحثنا معني فقط بسردية الاستقلال، من حيث هي موضوع في الكتابة كيف جاءت وما هي طريقة تناولها، فقد تحدد مفهوم سردية الاستقلال في هذا البحث بمدى توفر المذكرات على خطابات محددة، هي: خطاب الصراع والتمثيل (الدمج وحرب الجبهتين الأهلية)، وخطاب الاعتراف والتفاوض (الاتفاقات والمعاهدات) وخطاب استلام الاستقلال (الانفراد بالسلطة)، وهذه الخطابات هي مما يحدد عناصر كتابة الاستقلال في المذكرات. فضلا عن وجود ما يحدد الهوية الأجناسية للنصوص ويسكنها باطمئنان في خانة المذكرات.

وقد تم تقسيم البحث في مبحثين: تناول الأول السردية الراسخة، التي تحملها المذكرات المعبرة عن وجهة نظر الجبهة القومية، كتبها ساسة شاركوا في النضال ضد الاحتلال البريطاني، وفي أحداث الاستقلال، أما المبحث الآخر، فتناول أيضًا مذكرات مشاركين ضد الاحتلال البريطاني، وممن شاركوا أو كانوا شهودًا على الاستقلال، لكنهم يحملون وجهة نظر مغايره في سردية الاستقلال، وجلهم ينتمون لجبهة التحرير، ونطلق عليها السردية الغائبة. فضلا عما ينطوي عليه كل مبحث من تقسيم داخلي ينظم عملية التناول.

**أولًا: السردية الراسخة**

السردية الأولى، ونَصِفُها بالسردية الراسخة للاستقلال، لأنها نشأت في ظل السلطة الحاكمة في الجنوب، منذ الاستقلال، ومن ثم، هي مذكرات تحمل في خطاب السلطة، مما كتبه رجالاتها، الذين هم -إلى لحظة الكتابة- امتداد تاريخي للجبهة القومية، ويقدمون وجهة نظرها، ومن الواضح أنه قد تأخرت كتابتها في مذكرات شخصية، ربما لأنها قد رسخت وجودها في المروي التأريخي بوصفها السردية الرسمية التي لا تحتاج إلى شهادات فردية تدعمها، فضلا عمّا كان يكتنف كتابة المذكرات من تحفظات في جنوب اليمن آنذاك، عدا ما يمكن تسميتها بملامح المراجعة أو الاعتراف، مما تقتضيه العقود الفائتة من تقليب للذاكرة على موقد الحياة، إن وجدت هذه المراجعة أو الاعتراف.

**1: رجال حول الجبهة القومية**

وفي كل الأحوال يمكن الاكتفاء أولًا بثلاثة نماذج:

- الأول ما جاء في مذكرات أحمد علي مسعد، وهو سكرتير الجبهة القومية في مفاوضات الاستقلال في جنيف، بعنوان (فصول من ذاكرة الثورة والاستقلال: شهادتي للتاريخ) 1999.
- الثاني مذكرات الرئيس الجنوبي علي ناصر محمد، وأحد قادة الجبهة القومية، بعنوان (ذاكرة وطن) 2019.
- الثالث كتاب راشد محمد ثابت (ثورة 14 أكتوبر من الانطلاقة حتى الاستقلال) 2007، وصاحبه كان أحد قياديي الجبهة القومية، وقد تولى زمام وزارة شؤون الوحدة في حكومة الجنوب، فضلاً عما يمكن ذكره من مذاكرات بصورة عامة في أثناء الاستشهادات.

وربما يلفت نظر القارئ عناوين هذه المذكرات في الانتقال من المستوى الشخصي أو الفردي إلى المستوى العام، أي تحول الذاكرة الشخصية إلى ذاكرة جمعية للثورة أو الوطن، أو تكون تأريخًا لها، وذلك مما يمنحها سلطة مضاعفة في مواجهة القارئ، بوصفها سردية وطنية لا فردية كما تفعل سائر المذكرات!.

وسوف نؤجل الحديث عن كتاب راشد محمد ثابت المذكور في زمرة كتب المذكرات السياسية إلى نهاية المطلب، ذلك أنه، أي الكتاب، يثير تساؤلات عن وقوع المذكرات في فخ كتابة التاريخ، بحيث تتوارى الذات مفسحة لخطاب التاريخ أن يتمدد في بياض الكتابة، وفق ثنائية جدلية:

هل المذكرات تكتب التاريخ، أم التاريخ هو من يكتب المذكرات؟!

وإلى أي مدى يمكن عدّ هذا اللون مما يندرج في خانة المذكرات؟!.

وفيما يتصل بتجنيس الكتابين (فصول من ذاكرة، وذاكرة وطن) في خانة المذكرات الشخصية، في إطار ما يطلق عليه الميثاق التعاقدي بين الكاتب والقارئ، وظروف ودوافع الكتابة، فقد كتب أحمد علي مسعد: "لم يكن في خاطري مطلقًا أنني سأجلس ذات يوم لأسجل هذه الذكريات لا أثناء الكفاح المسلح وسنواته البطولية الأربع أو بعد ذلك، لأنني كنت غارقًا إلى ما فوق الأذنين في همومي الخاصة والعامة التي تفرضها الحياة على الناس، بل إنني كنت أقدر أن غادر هذه الحياة بشكل أو بآخر، ولهذا فلم أكترث وأنا أرى زملائي يتساقطون من حولي كأوراق الخريف، بشتى الصور والأساليب إلى مثواهم الأخير قبل أن تنضج ثمار التين والعنب، وفي هذه الأجواء زهدت في تدوين أي شيء" (مسعد، 1999، ص 12).

هذا الزهد أو الانشغال عن الكتابة بالشؤون الحياتية هو ما دفع الكثيرين إلى الانشغال عن التأمل في الأحداث والوقائع التي عاشوها، فضلا عن كتابتها أو التفكير في أثرها التاريخي والثقافي، وغني عن البيان أن هذا اللون من الكتابة يتطلب أن يدير الشخص عينيه عن الحاضر باتجاه الماضي، ينظر فيه ويقلب أوراق الذاكرة، لكن هذا الزهد أو العزوف قد ينقلب في بعض الأحيان إلى رغبة قوية في الكتابة بفعل توافر الباعث أو التحفيز، ويتمثل هنا في قيام أحد الصحفيين بتحفيز الكاتب على البوح بما لديه، ويساعده على ذلك السياقُ العام المشجع لحظة الكتابة، كما يقول، إذ يجب تهيئة "الأجواء السياسية والديمقراطية الفرصة للحديث، وفي اعتقادي أن على كل من يعرف حقائق عن ما جرى ويجري من أحداث وحوادث أن يسهم بقدر الإمكان في إلقاء الضوء عليها حتى لا ينال من صدقها التزييف والادعاء" (مسعد، 1999، ص 19).

ويخبرنا أنه سيخرج عن صمته الأثير ويتحدث إلى الأجيال عمّا يعرفه، وخصوصًا عن دوره في محادثات الاستقلال في جنيف في 1967، ولأنه، كما يقول، وجد "أن تساقط أقطاب الرعيل الأول من جيل الثورة الواحد تلو الآخر، في فترة زمنية سريعة ومرعبة، قد كان وراء رص الأصدقاء ودعوتهم إلى تسجيل كل ما أعرفه عن الثورة اليمنية، وذكرت، سابقًا، أن من حق الأجيال الصاعدة أن تعرف ممن عايشوا بدايات الثورة كيف بدأت وكيف سارت؟ وما رافقها من انتصارات وانحسارات ومن مد وجزر" (مسعد، 1999، ص 19).

فكان عليه أن يستجيب لكل هذه الدواعي ويكتب مذكراته التي جاءت على الرغم من مقدمتها المتفائلة المبشرة وهي قصيرة جدًا، ومتحفظة عما وعد بها القارئ من معلومات وأحداث شارك في صنعها، أي أنها رفعت من توقعاتنا للمروي أكثر مما جاءت به صفحاتها.

أما علي ناصر محمد فقد كتب في مقدمة مذكراته التي صدرت أولا في أربعة أجزاء كبيرة ما يأتي: "في هذه المذكرات حاولت تدوين ما استطعت من تاريخ ثورة الرابع عشر من أكتوبر في الجنوب، وهي جزء من حصاد سني حياتي، وما حملته من حلاوة ومرارة، ولم يكن ما دونته سيرة حياة، ولا شهادة شاهد على عصر أو تاريخ ثورة فحسب، بل كان ذلك كله" (محمد، 2019، ص 7).

هذا ما يتصل بالميثاق التعاقدي بين الكاتب والقارئ، وفي تجنيس كتابه في خانة المذكرات السياسية، أما عن دوافع الكتابة، فيقول: "ومن أهم الأسباب التي دفعتني إلى تدوين ذلك، أنه لم يصدر كتاب توثيقي شامل يؤرخ للثورة في الجنوب أو يوثق لها، كذلك لم يُصدر قادتها أية مذكرات أو شهادات توضح دورهم أو رؤيتهم لأحداثها ووقائعها إلا بقدر محدود جدًا، وعبر الندوات ووسائل الإعلام المختلفة، إما بسبب انشغالهم بمشاكل السلطة، أو لعدم اهتمامهم بالتوثيق والتسجيل، أو بسبب مغادرتهم الحياة قبل التمكن من ذلك" (محمد، 2019، ص 8).

وفي الطبعة الملخصة للمذكرات في كتاب واحد عام (2023)، أضاف إلى دوافعه تلك: "إن ما أقدمه هنا للقارئ، سواء الأجنبي أو العربي، هو ملخص لجهد استمر نحو ثلاثين سنة، حرصت فيها على كتابة ليس تجربتي الشخصية، وإن لم تخل من وجهة نظري في الأحداث كما عشتها، بقدر ما أردت الكتابة عن منطقة جنوب جزيرة العرب، [التي] مرت بأحداث وتطورات وتغيرات في غاية الأهمية، لم تحظ بالقدر نفسه من الاهتمام والكتابة عنها، خاصة من أبناء التجربة نفسها، والحقيقة أن ما تعرضت له التجربة من تشويه على يد أبنائها قبل خصومها كان أحد البواعث لكتابة مذكراتي هذه" (محمد، 2019، ص 9).

هذا فيما يتصل بالميثاق المذكراتي ودوافع الكتابة، مما يحسم مسألة تجنيس هذين الكتابين في مجال أدب المذكرات الشخصية.

وفي إطار الموضوع الذي تتأسس عليه الكتابة، ما يتصل بكتابة الاستقلال، فقد أراد مسعد أن يقدم في مذكراته من الأسرار ما يتجاوز سنوات الصمت، ذلك "أن الأمانة تقتضي قول الصدق أو الصمت، ولكن لماذا السكوت ولم يتبق من العمر إلا القليل؟!" (مسعد، 1999، ص 18).

وهذه العبارة جاءت لترفع من أفق توقعات القارئ في ولوجه إلى مروي الماضي، لكن مسعدا اكتفى بالحديث عن ذكرياته مع الأشخاص المؤثرين، وعن دوره ضمن أعضاء وفد الجبهة القومية للتفاوض على الاستقلال، ويبدو أن تخوفات البداية وهواجسها كانت أكبر من شجاعة الصدق، فقد أخبرنا عن تحفظاته في القول: "كتابة مذكرتي والمحاولة سهلة، لكن المشكلة تكمن فيما أنشره أولا، وقد شاءت الأقدار أن أعيش فترات ومنعطفات تاريخية طويلة، ولدي الكثير مما أستطيع أن أقوله، ولكن هل أستطيع أن أقول كل ما سمعت، وكل ما رأيت، وكل ما أعرف؟! أو هل أستطيع أن أقول الحقيقة كل الحقيقة ولا شيء غيرها" (مسعد، 1999، ص 18).

وبالنظر إلى ما جاء في المذكرات، فلم يكن يقدم إجابة شافية عن هذه التساؤلات، والحق أنه ظل يلمح أكثر مما يفصح، ما يدفع القارئ إلى العبور إلى ما بين السطور، حيث المسكوت عنه، أو إلى ما وراء التلميح عندما يصف الأجواء السرية التي اكتنفت الوفد والمفاوضات، فلم يخبرنا عن سرّ تأخره عن العودة مع الوفد المفاوض على الرغم من إصرار الرئيس قحطان الشعبي على عودته، وتظاهره بالسفر إلى لحظة طلوع الطائرة، ما أغضب قحطان منه (مسعد، 1999، ص 37)، وخوفه الشديد من تسريب أية معلومات عنها، ما دفعه إلى عدم الاحتفاظ بأية أوراق من ملفات التفاوض، إذ يخبرنا:

"عند عودتي من جنيف كان قد أُعلن الاستقلال، وبسبب تأخري في العودة كنت أحمل ما تبقى من وثائق الاستقلال، فاتصلت بالرئيس قحطان في دار الرئاسة لإخباره بعودتي، وطلبت منه موعدًا لمقابلته وتسليم الملفات، وأذكر أن عددها سبعة ملفات تنطوي على ما دار في المفاوضات، والعدد مساوٍ لعدد أعضاء الوفد الرسمي، مضافًا إليها ملف آخر كي يكون في أرشيف الرئاسة، فحدد لي قحطان، وكان في شهر رمضان الموعد وقت تناول الفطور، كي نتناوله معًا، وكنت قد سلمته الملفات، وسألني عن الملف الثامن، فأخبرته عن السبب، فناولني الملف الثامن كي يبقى معي، ورفضت أخذه نظرًا لأسباب احترازية، وخوفًا من أي تسريب لمحتوياتها لأية جهة" (مسعد، 1999، ص 40).

تلك التحفظات، وغيرها مما ينتشر في المذكرات من تلميح لأحداث ومواقف حاول الكاتب أن يقدم شهادة عنها، تفتح المجال على التأويل وربما التخييل على سردية غائبة، وكأنما جاءت المذكرات نفسها محفزة للقارئ في تقليب أوراق التاريخ والبحث عن المسكوت عنه في سردية استقلال الجنوب اليمني من بريطانيا، فلماذا لم يوضع الملف الأرشيفي الثامن في دار الرئاسة؟!، وخوف مسعد من الاحتفاظ بالملف الثامن، وتحمل مسؤولية أي تسريب لمعلومات التفاوض (مسعد، 1999، ص 40).

وما عدا مثل هذه التحفظات، فقد ذكره بوضوح علاقته الجيدة بأهم اثنين من قيادات الجبهة القومية عشية الاستقلال، اللذين تم الانقلاب عليهما من قبل رفاقهما في سنة الاستقلال، وهما: الرئيس قحطان الشعبي ورئيس وزرائه فيصل الشعبي، اللذان طوي أثرهما وذكرهما بعد مدة وجيزة في أثناء صراع قيادات الجبهة القومية على السلطة في جنوب اليمن، عاش الأول في إقامة جبرية حتى الموت، وأُعدم الثاني في زنزانة بعد اعتقاله، وظلا في دائرة الصمت والغياب بعد أن مُحيت آثارهما من الذاكرة الرسمية في الجنوب مدة عقود، وقد جاء حديثه عنهما مفعما بكلمات الإعجاب، واحترام واستعادة الذكريات.

يكتب الرئيس الجنوبي علي ناصر محمد، بوصفه أحد قادة الجبهة القومية في مذكراته (ذاكرة وطن) عن تفاصيل عديدة متصلة باللحظات الحاسمة في تاريخ الجنوب، وبالأخص في الصراع بين الجبهتين على السلطة، ولعل أكثر اللحظات الفارقة كانت أثناء المفاوضات في القاهرة في الثالث من أكتوبر 1967، من أجل تشكيل وفد مشترك للتفاوض مع البريطانيين في جنيف بشأن الاستقلال.

ويبدو مما ذكره أن وفد جبهة التحرير برئاسة عبد القوي مكاوي كان سببًا في عدم نجاح هذه المفاوضات التي جاءت عقب أشهر من الصراع بين الجبهتين، لعدم استجابته لشرط الجبهة القومية في التخلي عمن تصفهم بالسلاطين والأحزاب "الشخصيات العميلة"، وألا تقوم بحمايتهم، "وإذ رفضت جبهة التحرير هذه الشروط، تقدمت بأفكار لا يمكن القبول بها في ظل تطور الأحداث وبلوغها ذلك المستوى من النضج، مثل تشكيل حكومة وطنية يدخلها السلاطين وأمراء ومشائخ، وإعلان التمسك ببنود خطط الجامعة العربية وقراراتها الداعية إلى تشكيل حكومة وطنية عريضة، تشترك فيها ستة أطراف سياسية محلية، وكان معنى هذا استحالة اللقاء عند قواسم مشتركة" (محمد، 2019، ص 676).

وتبدو جملة القواسم المشتركة هنا محيرة إن لم تكن غامضة، لأنه بسبب ما يمكن أن ينظر إليه اليوم في الخطاب السياسي بالرؤية التوفيقية التي كانت تسعى إليها جبهة التحرير مقابل الرؤية (الانفرادية الاجتثاثية) للجبهة القومية، خسرت الأولى المفاوضات.

وبناءً على هذا الفشل عاد القتال الداخلي بين الجبهتين، وفي مطلع شهر نوفمبر، شهر الاستقلال، "عقدت الجبهة القومية مؤتمرًا صحفيًا أعلنت فيه أن الجبهة القومية تمتلك مفتاح مستقبل البلاد، وهي الممثلة الوحيدة للشعب في الجنوب، وهم مستعدون لمفاوضة بريطانيا بشأن تسلم السلطة، فيما رد المندوب السامي بالترحيب بهذا الموقف" (محمد، 2019، ص 676).

وقد ذكر دور الجيش الاتحادي في حسم الصراع لصالح الجبهة القومية أو "دون الزج به في معارك مع الشعب" (محمد، 2019، ص 677)، وبحسب علي ناصر، فقد "كان بين ضباط الجبهة القومية والموالين لها من يتمتع بكفاءات عسكرية عالية، فضلا عن كفاءاتهم السياسية" (محمد، 2019، ص 677).

وربما تثير لغة هذا الخطاب الحيرة لماذا يتم رفض "حكومة وطنية عريضة" وقتئذ؟!، وما المقصود بالشعب الذي لم يواجهه الجيش؟!، وإطلاق صفات الكفاءات العسكرية والسياسية على الموالين للجبهة القومية، لأننا سنرى في السردية الأخرى المضادة، الواصفة اللحظة نفسها، في المنسوب إلى قائد الجيش العقيد ناصر بريك، بحسب ما ينقله عبد القوي مكاوي في مذكراته (شهادتي للتاريخ) من اتهام بريك في أنهم ثمرة تحريض بريطانيا لهؤلاء الضباط بالانشقاق لصالح الجبهة القومية (مكاوي، 1979، ص 427)، وذلك ما يؤكده حيدر الهبيلي، أركان الجيش وقتئذ، في مذكراته (الهبيلي، 2024، ص 101).

وقد ذكر الشعيبي أن بريطانيا كانت تعد المسرح لاستلام الجبهة القومية حكم الجنوب من بعدها، بواسطة مندوبها السير همفري تريفليان، والمارشال داي، القائد البريطاني لجيش الاتحاد، فقد "أوعزا إلى بعض ضباط الجيش الاتحادي وبعض ضباط الأمن العام، الذين يُعرف عدم تعاونهم مع جبهة التحرير، بالانخراط في تنظيم الجبهة القومية، إذا هم أرادوا ضمان مستقبلهم، لأنها تنوي تقويتها وتأهيلها لاستلام الحكم في الجنوب" (الشعيبي، 1973، ص 144). وهكذا تتصارع السرديات والخطابات.

على أنه ينبغي القول إن مذكرات علي ناصر تنطوي في بعض المواضع أو الأحداث على خطاب تبريري، شأن المذكرات عامة، من ذلك رده على مقالة عبدالرحمن الجفري التي كتب فيها "إن شعبنا ناضل طويلا ولعقود كثيرة، فلا تطمسوا تاريخه، ولا تاريخ الرعيل الأول من رواده، فالاستقلال لم يكن حصيلة السنين الثلاث الأخيرة من وجود الاستعمار، ولم يكن بفعل آخرين، وإنما كان بكفاح شعبنا" (محمد، 2019، ص 677).

ويقصد الجفري الجبهتين والدور المصري، إذ ينكر على الجفري موقفه في تقييم نضال السنوات الثلاث الأخيرة قبيل الاستقلال، ويرى فيه بعض التعريض أو "الإساءة إلى تاريخ الثورة المسلحة" (محمد، 2019، ص 679)، ويقول: "قد أتفق معه اليوم [يقصد الجفري] إذا قال إن الجبهة القومية انفردت بالسلطة والحكم ولم تشرك الآخرين، وحتى هذا الرأي قد لا تقبل به القوى التي كانت تسيطر على الساحة آنذاك، فالسباق بين الجبهتين؛ القومية والتحرير، على تسلم السلطة كان في ذروته، فلكل برنامجه ومشروعه وتحالفاته، وحتى تلحين نشيده الوطني، وقطار السلطة كان مسرعًا إلى قصر الرئاسة في التواهي دون توقف في محطات أخرى لركوب أشخاص آخرين، والسباق كان على من يحسم ومن يحكم الجنوب في نهاية 1967 لينال الشرف الوطني والتاريخي بعد تضحيات جسام للوصول إلى هذا اليوم الخالد، ولم يكن ممكنًا الوصول إليه بسهولة، مهما بلغت القوة بيد الجبهة القومية دون الالتفاف الشعبي العظيم حولها للوصول إلى الخلاص والتحرر والاستقلال. لذلك علينا ألا نفصّل التاريخ على مقاسات اليوم، بل يجب أن نستفيد من عبره ولا نتباكى على الأطلال" (محمد، 2019، ص 678).

وبهذه النظرة البرغماتية، آنذاك، والتي لم تخل من مسحة اعترافية في زمن الاستعادة، يقدم علي ناصر جانبًا مهما مضمرًا من سردية الاستقلال.

وتحت عنوان "هل سلمت بريطانيا السلطة للجبهة القومية أم اضطرت لذلك؟" يقدم ما يشكل محاولة للإجابة عن السؤال وتعزيز السردية الرسمية الراسخة، التي خلاصتها أن بريطانيا كانت مدفوعة دفعًا للقبول بتسليم السطلة للجبهة القومية والاعتراف بها بوصفها الممثل الشرعي الوحيد لشعب الجنوب وفق بيان المندوب السامي البريطاني همفري تريفليان في الثامن عشر من نوفمبر 1967.

ومن خلال سرد اليوميات ومتتالية الأحداث التي سبقت لحظة الاستقلال يقدم مجموعة من التفاصيل والاجراءات الصارمة التي قامت بها الجبهة القومية، من أجل تعزيز استلامها السلطة، وبينها تجريد القوى الأخرى من السلاح بقوة "الإجراءات الثورية الرادعة" (محمد، 2019، ص 686)، وأن ذلك جاء من أجل "الحفاظ على الاستقرار الداخلي للجنوب وأمن الموطنين، ومنع أي مظاهر للفوضى حتى إعلان قيام الدولة وتسمية الحكومة، وقد تمت عن وعي سياسي وحسٍّ سياسي عالٍ بالمسؤولية" (محمد، 2019، ص 686)، وهذا يشير إلى اللحظات المتوترة التي شهدتها عشية الاستقلال ونزع سلاح الآخرين بناء على قرار الانفراد بالسلطة. وأيًا كانت الحقيقة، فهذه الشهادة التاريخية المكتوبة بعد أكثر من أربعين سنة تحمل في خطابها صيغة تبريرية في مواجهة اتهام بالاستحواذ على السلطة أو اختطافها كما تقدمه السردية الأخرى الغائبة.

وغني عن البيان في كتابة المذكرات أنه يُقبل ما لا يقبل في غيرها كالكتابات التاريخية التي يجب أن تتسم بالموضوعية والحياد التام، لأن المذكرات إنما تقدم الأحداث من زاوية تموضع صاحبها ووجهة نظره، وهذا لا ينفي إمكانية الموضوعية

والصدق، لكنها تُقبل في كل الأحوال بوصفها خطابا للذات، ووفق هذا التصور، فلا ضير أن تتكرر سردية الجبهة القومية في العديد من مذكرات من كانوا ينتمون إليها، وهذا أمر طبيعي إذ تبدو في نظر أكثرهم حقائق يقينية ثابتة غير قابلة للمراجعة أو الانتقاص من تاريخ من ينظرون إليه بزهو وتبجيل.

ومن ثم لم تكن كتاباتهم غير المزيد من تثبت هذه السردية في الذاكرة الوطنية، والتباهي بأدوارهم في حقبة الكفاح المسلح ضد البريطانيين، بل تبدو الفترة الخصبة بالنسبة إليهم من بين أكثر مراحل الماضي المستعاد الملتبسة بالتآمر والصراعات الداخلية، وقلما تصدر إشارات خافتة هنا أو هناك في مذكرات أحدهم بما يشبه الاعتراف عن أخطاء في حقبة الاستقلال.

فعلى سبيل المثال، حين كتب سالم الكميتي مذكراته تحدث عن رفض بعضهم دمج الجهتين: التحرير، والقومية، تحت تأثير الدعاية والتحريض والتخوين، يقول: "كان ذلك الأمر يمثل صدمة لنا، لأن منظمة التحرير كان في قيادتها عبد القوي مكاوي رئيس وزراء حكومة الاتحاد، وعبدالله الأصنج، والسلطان أحمد عبدالله الفضلي، والسلطان جعبل بن حسين العوذلي، وآخرين من الذين كانوا يعتبرون عملاء لبريطانيا، بالنسبة لنا، لهذا السبب رفضنا هذا الدمج، ولم يكن يخطر ببالنا أن هؤلاء من أسر حاكمة، من الممكن أن يكونوا وطنيين، ويحبوا وطنهم، وقد كنا أقل فهمًا، وثقافة منهم، وحصل تحريض ضدهم، من قياداتنا، لهذا عاديناهم، ورفضنا الوحدة معهم [...] وعلى الرغم من اندماجنا بجبهة التحرير، فقد كان ظاهرنا شيء، والخابئ شيء آخر" (الكميتي، د.ت، ص 42).

وهذه إشارة لامحة من رئيس جهة الاصلاح اليافعية وأحد مؤسسي الجبهة القومية عن ظروف التحريض وتشويه الخصوم السياسيين، والتناقض الذي لا يمكن فهمه إلا في إطار الصراع بين الشعبوي والنخبوي في مرحلة الكفاح ضد الاحتلال البريطاني، فضلا عما جاء في خطاب المقدمة، حيث جرت العادة على عقد ميثاق الكتابة المذكراتية التي تقتضي تقاليدها تطمين القارئ بصدق الكتابة، فقد جاءت معلنة عن الحجب والسكوت عمّا لا يجب على المذكرات السكوت عنه أو حجبه عن القارئ، تحت مبرر ضعف الذاكرة وتحفظات كراهة الكتابة، إذ يقول: "قررت أن أكتب بعض هذه الذكريات حسب مقدرتي والتي يمكن البوح بها، مهملا بعض الذكريات التي يمكن أن تسبب بعض الأحقاد والضغائن عند البعض، وحتى لا ننبش جراح الماضي الأليم" (الكميتي، د.ت، ص 6)، ومن ثم لم تخرج مذكراته عن نسقية كتابة رجال الجبهة القومية وتكرار سردياتهم للوقائع.

ولئن كان سرد تاريخ الاستقلال يجري في مذكرات فئة القوميين على نسقية موضوعية واحدة، حيث الكثير مما هو مشترك مع آخرين، مما لا يمكن تعديله أو المساس به، فإن المقدمات التي تمهد للقارئ الطريق إلى متونها، تبدو وكأنها خطاب ذاتي تخلّق في حدود الهامش دون المتن التاريخي، إذ تنهض بعض المقدمات بتمرير شيء من الرؤى أو النظرة المختلفة لما كانوا قد عاشوه من أحداث في الماضي، وكأنما المراجعة أو الاعتذار مجرد خطاب ذاتي هامشي خارج ثوابت النص ومسلماته.

ويأتي الخطاب المقدماتي مصحوبًا غالبًا بدوافع الحمل على كراهة الكتابة تحت إلحاح وتأثير من الآخرين الذين يطلبون تدوين هذ الشهادات أو المذكرات من أجل التوثيق، وذلك ما نجده، على سبيل المثال، في مقدمة مذكرات صالح الصلاحي، أحد فدائيي الجبهة القومية، المدفوع إلى كتابتها بإصرار من ابنه الذي يقول له: "إنك تدعوني لأعيش أحزان الحياة وتجاربها المريرة" (الصلاحي، د.ت، 2021، ص 18).

والخطاب هنا يُفهم بأنه موجه إلى القراء المتحفزين لاستقبال التذكر، فيما يرى صاحبه أنه ينكأ الجراح ويعيد سرد ما سُكت عنه سنوات طويلة، ولا ندري هل هذا الشعور مرتبط بأحداث مراحل الماضي المستعاد كلها، بما فيها حقبة الصراع على السلطة فيما قبل الاستقلال أم مرتبط بما بعده فحسب، حيث زيادة الدموية والوحشية والتآمر في ظل الصراع الداخلي وقد تحولت الجبهة القومية من ثورة إلى نظام قمعي يحكم الجنوب؟!

وفي كل الأحوال لم يبرح هذا الشعور عتبات المذكرات التي ظلت تكرس حضورها بوصفها (الوثيقة) التي اجتهد الابن في استخراج روايتها الشفاهية من على لسان أبيه، ومن وسط حيرته وأسئلته، إذ يقول الصلاحي فيما يشبه الاعتذار والاستنكار: "إن

محنتي كبيرة، والكتابة عن تلك المحنة صعبة ومؤلمة، فالمنتصر والمهزوم، والمتآمر والمتآمر عليه هم جميعًا رفاقي، تارة حموني، وتارة حميتهم، في عمليات عسكرية جريئة عجلت برحيل الاستعمار، هل سأروي صفحات كلها رثاء لشهداء تآمر الرفاق على الرفاق؟ أم أصب سيل اللعنات على كل من سلم أمره لأوباش الليل، وحائكي التآمر، ممن أنكروا، وشككوا برفاق دربهم، من صناع الثورة، فمنهم من رسم، وخطط لحلقات التآمر، وهناك من شارك، ونفذ، وآخرون آثروا التفرج بصمت على مسارح التآمر" (الصلاحي، د.ت، 2021، ص 19).

ولعل الكتابة أو انهمار الذاكرة هي في سرد مراحل الحياة الثلاث: الطفولة والتنشئة ثم العمل الفدائي ضد الاحتلال البريطاني، فمرحلة ما بعد الاستقلال، بمثابة الترياق المجاوز ألم الاستعادة، لتمضي الذات في تخليد وجودها في ذاكرة الكتابة، وفي امتزاج عضوي بين الذات والآخر، وإن لم تجب عن حيرة أسئلة المقدمات كيف جرى ذلك ولماذا؟!، وهي تعيد استرجاع الماضي الشخصي في إهاب صلب من الرؤية اليقينية المتماهية مع سردية الجبهة القومية عن الاستقلال (الصلاحي، د.ت، 2021، ص 190-194)، وتبدو فيما عداها أكثر حرية وحيوية في تقديم الآراء والتحليلات من وعي مفارق يعود إلى زمن التذكر والكتابة المحمّل بحكمة السنين.

وبالعودة إلى كتاب راشد محمد ثابت، أحد قيادات الجبهة القومية والوزير السابق في حكومات الجنوب، لا أظن أنه قدم كتابه المذكور على أنه كتاب في المذكرات الشخصية أو في أي من أشكال خطاب الذات، وهنا تبرز أهمية تجنيس الكتابة، بداية بما يقدمه الكُتاب من ميثاق تعاقدي مذكراتي في أوائل كتبهم أو في أحد أجزائها الأخرى، بحسب تقاليد الكتابة، وذلك ما لا نجده في كتابه هذا، ما عدا ما يمكن فهمه من الباب الخامس (الأخير) من الكتاب، من أحاديث وإشارات في أثناء المقابلات الصحفية.

ونذكر الكتاب هنا من باب الاستشهاد في تناول سردية الاستقلال في كتابات النخبة السياسية والثقافية المنتمية للجبهة القومية، ولأن محمد ناجي أحمد قد ذكره في كتابه (المذكرات السياسية في اليمن) من صفحة 167 إلى 193، وعند النظر في موضوع الكتاب ربما يخلص القارئ إلى أنه كتاب في التاريخ الحديث، وليس كتابا في المذكرات، تناول مؤلفه قصة ثورة 14 أكتوبر من الانطلاقة إلى الاستقلال، بحسب ما هو واضح في العنوان، وذلك ما عكسته أبواب الكتاب وفصوله، وهو مرجع مهم في إطار سرديات أحداث التاريخ اليمني المعاصر من وجهة نظر الجبهة القومية، أو بالأصح من وجهة نظر خطاب الحزب الاشتراكي اليمني سليل الجبهة القومية في الانفراد بحكم الجنوب وصياغه سردياته.

في الباب الرابع من هذا الكتاب (359 إلى 475) تتشكل سردية الاستقلال، التي نطل عليها من خلال رؤية المؤلف إليها بعد أربعين سنة، وهي مدة كفيلة وفق تقاليد الكتابة ومنهجيات البحث أن تعيد النظر فيما يُرى، وأن يتم تقليب الحطب على موقد الكتابة، لأن العين التي تطل على الماضي وقت الكتابة، ليست العين نفسها التي كانت تعيش الحدث أو تشاهده، بفعل ما يتاح للأخرى من نظر للأحداث من زوايا عديدة، أي اتساع في الرؤية مهما ضاقت العبارة.

غير أن ذلك مما لا يشعر به القارئ، إذ ينفتح الخطاب على العديد من المفردات والاتهامات السياسية والتفسيرات التي تنتمي إلى لغة السبعينيات ومنظوراتها الماركسية، من قبيل: العملاء السلاطين، القوى السياسية الموالية للاستعمار، السلاطين المستوزرين والمرتبطين بأجهزة السلطة الاستعمارية، المندسين، تأثيرات البرجوازية المتوسطة على أجهزة المخابرات المصرية، الدوائر السياسية النائمة في الاتحاد السوفيتي، الرجعية السعودية، وغير ذلك من الأوصاف الموجهة للآخرين، مما لا يتسع المقام له، فضلا عن الاعتماد الكبير عن نقل الأحداث بدون مناقشتها أو تقييمها من بيانات وتقارير ومحاضر الجبهة القومية بشكل واسع.


(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508 | الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، كلية الآداب، جامعة ذمار، المجلد7، العدد1، مارس 2025

ومن ثم يمكن القول إن الكتاب يمثل الصيغة أو التفسير الرسمي للجبهة القومية تجاه مختلف الأحداث المرتبطة بالاستقلال والتفاوض والصراع على السلطة، ويندرج بوضوح تام في تعزيز السردية الرسمية الراسخة عن الاستقلال، القادمة من نهاية الستينيات بكل خطاباتها ومفرداتها، التي تطلق خطابًا تخوينيًا تجاه الآخرين، في مقابل خطاب تنزيهي مثالي عن الجبهة القومية.

**2- قوميون في لباس عسكري**

ربما كانت الكتابة الأولى للمذكرات السياسية القومية النابشة بقوة في التاريخ السياسي لجنوب اليمن وسردياته، ما كتبه اللواء محمد قاسم بن عليو اليافعي، في مذكراته (الأهداف السامية والأحداث الدامية) 2010، فقد جاءت في بعض المواضع كتابة عريضة وجريئة، وصادمة في أثناء تناولها لأحداث ممتدة منذ 1952، لحظة التحاقه بجيش محمية عدن في حقبة الاحتلال البريطاني، إلى 1990، عام تحقيق الوحدة اليمنية بين دولتي اليمن الشمالية والجنوبية، وهو تاريخ لم يخل من دلالة نهاية عهد، وبداية عهد جديد من صراعات أخرى على السلطة، وما بين التاريخين تحتشد أحداث وصراعات كثيرة، في ظل أهداف سامية وأحداث دامية، كما يحملها العنوان إلى القارئ، ويزيد من شغفه وفضوله لما يسكن صفحات الكتاب من إعادة سرد التباسات التاريخ وخطاباته، بدأها بنبذة موجزة عن الحياة الخاصة في الما قبل غير المعتنى به في المذكرات السياسية إلى ما هو أهم في الما بعد من أدوار ومواقف وأحداث كان جزءًا منها أو شاهدًا عليها، بعد أن بلغ صاحبها الثمانينيات بذاكرة صلبة تعنى بالتفاصيل، بلا ترجمان، وهو يطل على الماضي من مسافة بعيدة ناظرًا إليه بعين أخرى ووعي مفارق، تستدعيه طبيعة المذكرات، التي لم تعان من مشكلة تجنيس الكتابة، منذ وصفها بالعنوان الشارح (مذكرات) مرورًا بالمقدمة الموجهة إلى لقارئ، وانتقالًا إلى ما بين كل صفحاتها من إشارات إلى أنها كتابة للذات والتاريخ من منظور الحضور الفعلي والمشاهَد، كما جاء في كلماته المعتذرة للقارئ عن أي غياب لأحداث لم يتطرق إلى ذكرها (اليافعي، 2010، ص 537).

لكنها، أي المذكرات، بقيت تعاني من الحجب والغياب في كتاب مطبوع إلا من نسخ قليلة شاردة نادرة، ولم يقدم المؤلف على نشرها مرة أخرى، ولعله قد أحجم عن ذلك، بعد أن أصابتها لعنة كتابة المذكرات في جنوب اليمن، على الرغم من وعده للقارئ المتضمن دوافع الكتابة:

"لقد عاهدت الله عندما عزمت أن أكتب مذكراتي هذه، أن أكون أمينًا فيها، محايدًا أشد ما يكون الحياد، ولم أقصد بها مصلحة شخصية آنية، أو مداهنة سلطة سياسية.. بل غايتي الأولى والأخيرة كانت تتمثل في أنني رأيت أن من واجبي الديني والوطني والنضالي أن أعيد الحق، ولو من خلال الكتابة، لكثير من المناضلين والوطنيين الشرفاء، الذين طحنتهم الحروب والمعارك المؤسفة، التي قادها فطاحلة النظام، عبر مراحل متعددة من الصراع السياسي، الذي كان دائمًا ما ينتهي بتصوير المنتصر مناضلًا وطنيًا شريفًا غيورًا على شعبه، بينما يذهب المنهزم بكل تاريخه النضالي الوطني والقومي إلى غياهب النسيان، تلاحقه، زورًا وبهتانًا، تُهم النظام له بالخيانة والعمالة والرجعية، وغيرها من التهم التي ألفناها في تلك المراحل" (اليافعي، 2010، ص 8).

إذن تحاول هذه المذاكرات، كما أعلن صاحبها، أن تعيد كتابة التاريخ المنسي أو أن تجلو الغبار عما توارى من سردياته المطموسة تحت ركام الغياب، وتلك واحدة من أهم وظائف المذكرات الشخصية عامة، وتتضاعف هذه الوظيفة في المجتمعات التي عاشت تحت أنظمة الكبت السياسي خاصة، والتي تنظر إلى المذكرات السياسية، بأنها نوع من الكتابات المحضورة أو المحرمة، لصالح السردية الرسمية التي يجب أن تكون هي الراسخة دائما، وذلك ما يمنح أية كتابة مغايرة، إذا استبعدنا معياري الصدق والكذب، حق الوجود بوصفها وثيقة للتاريخ، وكثيرًا ما يلجأ إليها الباحثون.

ف"على الرغم مما تحمله هذه المذكرات من انطباعات شخصية، قد تتخللها المبالغة والتهويل ووجهات نظر شخصية، فإنها معين للمعلومات لا بد منه" (حسين، وآخرون، 2001، ص 3). وفي كل الأحوال تظل للمذكرات قيمتها التاريخية والاجتماعية.

وما يعنينا هنا، هو استجابة هذه المذكرات للعديد من دواعي واشتراطات الكتابة، ومن بينها إثارة النقاش والجدل، وفيما يخص كتابة الاستقلال فإن المذكرات تبدأ أولا بسرد تفاصيل تاريخية عن تكوين الجبهة القومية وخلاياها في الجيش والأمن، بوصف صاحبها من العسكريين الذين انضموا للجبهة القومية، ثم تتحدث عن مشاركته في العمل السري الفدائي، وفي انتفاضة 20 يونيو 1967التي قامت بها قوات الأمن في عدن ضد الاحتلال البريطاني، وقدم في أثناء ذلك تحليلا لأبعاد هذه الانتفاضة وتأثيراتها ونتائجها، وحين يصل إلى عشية الاستقلال تأتي وجهة نظره متوازية مع السردية القومية وخطاباتها.

لكن ما يميزه أنه يبدو الأكثر صراحة وتعبيرًا عن الرأي، فقد ذكر أن سقوط المناطق الريفية في جنوب اليمن ومدن سلطنات اتحاد الجنوب العربي في مدة قصيرة جدًا، إنما كان بالتعاون مع القيادات القومية السرية التي كانت تعمل في الجيش، وهو ما ساعد على تمدد الجبهة القومية خارج عدن، وذلك ما لم تتمكن جبهة التحرير من القيام به (اليافعي، 2010، ص 82).

وإذا وصلنا هذه المعلومات بما تقدمه سردية التحريريين عن تواطؤ أو تغافل البريطانيين عن خلايا الجبهة القومية في الجيش، بل ودعمها وتسهيل استيلائها على المناطق، يمكن أن نفهم سبب هذه الانتصارات السريعة، وحسب عليو، فقد عزز ذلك من موقف القوميين في مفاوضات القاهرة مع التحريريين الذين كانوا يحظون بتأييد ودعم كبير من مصر وعبد الناصر شخصيًا، وكان الهدف من تلك المفاوضات التي كانت في أكتوبر 1967، أي قبل الاستقلال بشهر "محاولة لرأب الصدع بين الجهتين؛ ولتقريب وجهتي نظر الجهتين المتباينتين في مسألة تشكيل الحكومة الائتلافية، من خلال إعادة زرع الثقة بين قيادات وقواعد الجهتين، خصوصًا (القومية) التي باتت تدرك تمامًا ما تضمره المخابرات المصرية من نيات مسبقة" (اليافعي، 2010، ص 83).

ويمكن أن نفهم المقصود هنا بالنيات المسبقة وهو توجس المصريين من الاتفاقات السرية التي يقال إن القوميين قد عقدوها مع البريطانيين لتسلم السلطة من البريطانيين نكاية بمصر حتى لا تمتد يدها إلى عدن ومناطق الجنوب كما فعلت في الشمال!.

وقد ترتب على فشل المفاوضات انفراد الجبهة القومية بتمثيل الجنوب، كما هو معروف، في مفاوضات الاستقلال في جنيف مع البريطانيين في 29 نوفمبر 1967.

أما وجهة النظر الشخصية التي يقدمها المتطابقة مع سردية القوميين وخطابهم، فهي "أن رفض جبهة التحرير للطرح الذي تقدمت به الجبهة القومية، كان زلة ما كان ينبغي لها أن تحصل، لولا شعور وفد جبهة التحرير بأنهم يحظون بتأييد الغالبية من أبناء شعب الجنوب اليمني المحتل، وهو شعور لم يكن مبنيًا على حسابات الواقع، أضف إلى ذلك تجاهلهم للغالبية من أبناء الجيش والأمن الذين كانوا يقفون إلى جانب الجبهة القومية" (اليافعي، 2010، ص 85).

وبهذا حمّل التحريريين مسؤولية غيابهم "عن مسرح الأحداث السياسية في الوطن اليمني" (اليافعي، 2010، ص 85)، وفق هذه التي يصفها بأنها (زلة) حسمت الأمور لصالح القوميين، وحسمت معها تاريخ جنوب اليمن لعقود طويلة!.

إن الناظر إلى مذكرات عليو يجدها حافلة بالتفاصيل والتواريخ لأيام مثخنة بالصراع العنيف قبيل الاستقلال، وخصوصًا بعد اعتراف الجيش وقوات الأمن في 6 نوفمبر 1967 بالجبهة القومية، وعقب الصراع الدموي بين الجهتين في شهر

الاستقلال، وكان هذا الاعتراف، بحسب عليو، سببًا في احتجاج جزءٍ من ضباط وأفراد الجيش الموالين لجبهة التحرير، وخصوصًا من مناطق العوالق والصبيحة وردفان والحواشب ولحج (اليافعي، 2010، ص 99).

وفي هذا إشارة واضحة إلى جذور الصراع المناطقي في جنوب اليمن، الذي انعكس أيضًا على الجبهة القومية نفسها، والتي انتقدَ توجهاتِها ؛ ذلك "أن بعض العناصر، في قيادة الجبهة القومية، أصيبت بمرض (جنون العظمة)، وهو مرض يُفقد صاحبه القدرة على التمييز، كما يفقده القدرة على الأبصار السديد" (اليافعي، 2010، ص 99). ولذلك فقد تحدث عن مشاهداته للفرح الكبير الذي شهدته عدن ومدن الجنوب يوم الاستقلال، وقال إنها كانت فرحة منقوصة، بسبب غياب نهج الاعتدال عند تشكيل أول حكومة "عدا قحطان محمد الشعبي وفيصل عبداللطيف الشعبي الشخصيتين البارزتين، وشاءت الأقدار أن يكونا على رأس السلطة السياسية في ظل بوادر ظهور عاصفة هوجاء من التطرف اليساري، جاءت من بعيد ومن قريب، مستغلة غياب مقومات الدولة الحديثة التي ولدت إلى حيز الوجود من دون عمود فقري، قادر على حماية جسمها من الترنح أو السقوط، بفعل رياح هذه العاصفة اليسارية الهوجاء الدخيلة" (اليافعي، 2010، ص 108).

وهذا النقد يتصل بطبيعة الخطاب الشعبوي الذي تقدمه الجبهة القومية في العداء التام لكل القوى السياسية الجنوبية تحت عنوان العداء والقطيعة التامة مع من تطلق عليهم "عملاء الاستعمار والأعداء الطبقيين للثورة"؛ ما أدى إلى المشكلات السياسية والاقتصادية المعروفة المترتبة على خروج الشركات الأجنبية وهروب التجار من عدن خشية التأميم، فضلا عن الاختناق السياسي في العلاقات الدولية في ظل تغلب "أمواج التطرف اليساري بكل ما تحمله من أنانية وغرور" (اليافعي، 2010، ص 109)، والذي كان قد وصفه مكاوي في مذكراته بـ"الغزو الشيوعي لجنوب اليمن".

يبقى السؤال عن أثر بعض المواقف أو الأحداث في تغيير وعي صاحب المذكرات، فهل كان لتجربة الاعتقال أو السجن 1975/ 1976 والظلم الذي تعرض له أثر في خطاب مذكراته الذي يقوم على انتقاد أساليب الجبهة القومية وتحولها إلى نظام قمعي يملأ السجون بالأعداء والرفاق معًا، وقد خرج من الاعتقال بوساطة من صالح فاضل الصلاحي، وقد ذكرها الأخير في مذكراته.

ويقدم اللواء خالد باراس في مذكراته (وداعًا أيها الماضي) 2012، التي ظل يجنسها بوصفها "سيرة ذاتية" فيما جاءت تحقق اشتراطات كتابة المذكرات أكثر من كتابة السيرة الذاتية، في التركيز على دوره الشخصي في إطار الأحداث العامة التي شارك فيها، والتركيز على حياته السياسية ومراحلها، وبوصفه أحد قادة الجبهة القومية في حضرموت، وشخصية سياسية كان لها دور مؤثر في صناعة الأحداث والتحولات في جنوب اليمن، قبل الاستقلال وبعده، يقدم في هذه المذكرات التي اتسمت بالاسترسال في التفاصيل جانبًا من سردية عشية الاستقلال، عن فترة بدايات الوعي ثم النضال في صفوف الجبهة القومية والعمل التنظيمي.

وعلى الرغم من حديثه المسهب عن تطور وعيه السياسي والانضمام إلى جبهة التحرير، فإن سردية الاستقلال تبدأ عنده في التشكل في حديثه عن ظروف مشاركته في أحد مؤتمرات الجبهة القومية في ديسمبر 1966، أي قبل إعلان الاستقلال بعام واحد، وكيف كانت التحضيرات، والتعبئة في المشاركين للتصويت على قرار انسحاب الجبهة القومية من الشراكة مع جبهة التحرير والقوى الوطنية؛ "من أجل انتقال الثورة إلى مرحلة السيطرة المباشرة على المناطق، وتسييرها بواسطة اللجان الشعبية، حتى قيام الدولة المستقلة لعموم جنوب اليمن" (باراس، 2024، ص 186).

وهذا كان في إطار الخطوات التي اتخذتها الجبهة القومية في طريق انفرادها بتسلم السلطة وحكم الجنوب، ويذكر أنه شخصيًا كان مع قرار البقاء في إطار الشراكة مع جبهة التحرير، ولكن وفق شروط، على الرغم من الضغوط التي تعرض لها

للتصويت لصالح قرار الانسحاب الذي اتُّخذ بأغلبية كبيرة في التصويت كما يقول، وهنا تبدو قيادات الجبهة القومية تمارس سلطة التعاميم والتنظيمية الداخلية على أعضائها بصرامة، وكان نتيجة القرار بالانسحاب من الشراكة مع جبهة التحرير والأحزاب المقاومة للاحتلال البريطاني، وفق باراس، أن "تعرضت الجبهة القومية بعد المؤتمر لحملة إعلامية معادية ظالمة من الإعلام اليمني والمصري، وتعرضت أيضًا لحصار إعلامي عربي ظالم" (باراس، 2024، ص 187).

لقد كتب كثيرًا عن الاستعدادات والإجراءات التي قام بها مع رفاقه في الجهة، ومن بينهم صالح باقيس، مسؤول العمل الفدائي في عدن، المشهور حركيًا بـ(الحاج) من أجل السيطرة على حضرموت لصالح توجه الجبهة القومية، وتوحيد صفوفها.

وفي إطار هذه السردية كان عليه أن يدفع بالاتهامات المضادة تجاه الرأي الآخر، وحسب قوله، فقد "حاولت السلطات الاستعمارية العودة إلى المشاريع التي لم تلق قبولاً في السابق مثل تسليم السلطة لحكومة ائتلاف تشارك فيها كل القوى في الساحة الجنوبية، وكذلك قبول اللجنة الدولية لتقصي الحقائق المشروط بالاعتراف بحكومة اتحاد الجنوب العربي ومشاريع أخرى، وقد استطاعت الجبهة القومية إفشال كل هذه المحاولات بنجاح كامل، فمن خلال البيانات والتصريحات الصحفية رسمت سياستها ومواقفها حيال كل القضايا الشائكة، وبحرص شديد كانت تزود قواعدها التنظيمية بالمعلومات بانتظام عبر التعميمات الإخبارية الداخلية التي التزمت صحة المعلومات وتجنب التهويل. دشنت الجبهة القومية نجاحها بإفشال تلك المشاريع والمخططات، بإصدارها ذلك البيان المعروف بتاريخ 1967/4/21، فتساءلت قيادة الجبهة القومية فيما إذا كانت بريطانيا جادة أن تنسحب من أرض الجنوب، وتسليم السلطة لممثلي الشعب الحقيقيين، مشيرة بأسلوب يدل على الحنكة السياسية أن سلطات الاحتلال لا تجهل الجهة التي عليها أن تلجأ إليها إذا هي جادة فعلا فيما تقول عن نيتها الانسحاب من أرض الجنوب، ولا يمكن أنها تجهل من المسيطر على المنطقة من باب المندب إلى حوف في المهرة" (باراس، 2024، ص 189).

وواضح أنه يعبر عن الخطاب السياسي للجبهة القومية الذي تتبناه وقتئذ، وهو خطاب عدائي تخويني تجاه الآخرين، الموصوفين بأنهم أصحاب (مشاريع) وهي مفردة متكررة، ذات دلالة سلبية في الخطاب السياسي، في مقابل خطاب تنزيهي مثالي عن الجبهة القومية، الموصوفة وفقًا للخطاب "بممثلي الشعب الحقيقيين"، ذلك ما ظلت لغة الخطاب تعبر عنه بوضوح، "لأنها الطرف الأقوى الذي تأكد نفوذه وهيمنته على مستوى الساحة الجنوبية" (باراس، 2024، ص 200).

وبناء على هذ الموقف والنفوذ، وفق سردية الجبهة القومية "تحقق الاستقلال وقامت دولته بدون سلاطين وصنائع أوجدها الاحتلال كبديل له" (باراس، 2024، ص 201).

وعلى الرغم من ذلك تُقدم هذه السردية من وجهة نظر صاحب المذاكرات تجاه الأحداث بعد سنوات طويلة من وقوعها وزمن كتابتها، وهي المسافة التي تتيح تسرب نبرة تبريرية للمواقف التي تم اتخاذها، بوصفها "الصورة الحقيقية لما كان قد حدث قبل ما يزيد عن أربعين سنة، حاولت بكل أمانة أن أرسمها كما عشتها وساهمت في صنع أحداثها، وأقصد بذلك الرد على من يقيس أحداث الماضي بمقاييس الحاضر، ويحكم على الماضي بقوانين اليوم، ويتعامل مع نتائج جهود الشعب ومعاناة الناس بكل بساطة من خلال افتراضات مبنية على (لو أن) و(كان يفترض) وغير ذلك من الأمنيات.." (باراس، 2024، ص 202).

وفي ظني أن هذه الصراحة كانت مقيدة أيضًا بحدود زمانية وثقافية أقرب لأجواء حدوثها، إذ تشكلت مادتها الأولية في أوراق كان قد كتبها في مدة بعثته الدراسية في مدينة (لينغراد) السوفيتية في 1971، ولذلك أيضًا جاءت مذكراته حافلة بالتفاصيل الدقيقة وقوة الذاكرة في سرد الأحداث والتواريخ والشخصيات، وإن لم تخل في بعض الأحيان من نبرة اعتذار ومراجعة ذاتية شكلتها السنوات التالية.

فقد نجده في بعض المواضع يصف بعض مواقفه في فترة عشية الاستقلال بأنها كانت متطرفة، إذ يقول: "واليوم وبعد مرور عقود من السنين، فإني لا أشعر بأي حرج إذا قلت إن موقفي في ذلك الوقت كان متطرفًا، لم يأخذ بالاعتبار أية نتائج

سلبية وخطيرة إذا ما دخلنا في مواجهات مسلحة مع المؤسسة العسكرية للسلطنة [يقصد السلطنة القعيطية في حضرموت، التي كانت ضمن حكومة اتحاد الجنوب العربي قبل الاستقلال] وكان الموقف الذي اتخذته مبنيًا على الحماس الثوري والثقة المبالغ فيها في قدرات الثورة" (باراس، 2024، ص 213).

إذن لم تخل مذكرات العسكريين المنتمين للجبهة القومية من شجاعة الاعتراف ومراجعة ذاتية لبعض المواقف الشخصية، وانتقاد شديد لمواقف عامة اتخذتها الجبهة القومية في أثناء صراعها السياسي مع جبهة التحرير والقوى المدنية الأخرى المناهضة للاحتلال البريطاني، فضلا عن سمة أساسية بارزة في اقترابها كثيرًا من حد السيرة الذاتية والإسهاب في سرد التفاصيل التي تستند إما إلى يوميات مكتوبة في أزمنة سابقة، كما ذكر اللواء باراس، وإما إلى العديد من الوثائق والمحفوظات الشخصية، كما ذكر اللواء عليو.

وفي كل الأحوال، فإنها جاءت لتقدم مادة تأريخية مهمة، عن العديد من المراحل السياسية الملتبسة، في التاريخ السياسي لجنوب اليمن، عاكسة لصراع الخطابات، وتضاد السرديات، ومتجاوزة لحدود الكتابة المحرمة جنوبًا.

**ثانيًا: السردية الغائبة**

لم تكن المذكرات ظاهرة منتشرة في الأدب اليمني أو عند الساسة اليمنيين، أسوة بما هو كائن في العديد من البلدان العربية في حقبة ما بعد منتصف القرن الماضي، المشتعلة تاريخيًا بصراعات الأفراد والمجتمعات والثورات والأيديولوجيات والبلدان، ما شكل مادة خصبة للباحثين للنظر إلى التاريخ من زوايا وتفاصيل تعنى بالفردي والتاريخي معًا، أو بعبارة أخرى تطل على الأحداث والوقائع الكبرى من منظورات أصحابها أو المعايشين لها، حتى بات يُنظر الآن إلى المذكرات بوصفها مصدرًا من مصادر كتابة التاريخ والبحث في سردياته، يضاف إلى ذلك ما كانت تثيره تلك المذكرات من حالة سجالية، ونقاشات، وردود من على صفحاتها.

أما على المستوى اليمني فقد خرج بعض منها في الثمانينيات شمالًا وحقق وفرة نسبية، بأقلام من عايشوا أحداث الثورة اليمنية في الشمال، من ساسة ونخب ثقافية واجتماعية، مثل: مذكرات زيد بن عنان 1982، مذكرات اللواء عبدالله جزيلان 1984، مذكرات المقبلي 1986، مذكرات عبدالرحيم عبدالله 1987، وهكذا لم يمض عام بدون كتاب أو كتابين.

وأما جنوبًا، فقد تلفت نظر القارئ ندرة -إن لم نقل غياب- المذكرات السياسية، ولعلّ سبب ذلك هو طبيعة التاريخ المفخخ بالصراعات الدموية خلال الحقب الماضية، وتكريس خطاب زائف تحت عنوان تجاوز جراحات الماضي، وعدم الرغبة في المكاشفة التي كان يمكنها أن تصنع قطيعة حقيقية مع الماضي، كل ذلك مما يجعل كتابة المذكرات محفوفة بالكراهة والمخاطرة، ومحجوبة بالحساسيات والتحفظات.

كما أن هناك عاملا سوسيولوجيا مهما، وهو ندرة الوعي الكتابي عند كثير من الساسة الجنوبيين، أو انعدام الخروج الآمن من السلطة الذي يتيح لأصحابه التأمل في الماضي والكتابة عنه، وعوامل سوسيوثقافية عديدة تكمن خلف هذا الغياب، ولم تفلت من ذلك غير كتابات قليلة، شاردة ونادرة تمامًا، توفرت لها دوافع قوية للكتابة، مثل (شهادتي للتاريخ) 1979 للسياسي الجنوبي الكبير عبد القوي مكاوي (رئيس وزراء في حكومة اتحاد الجنوب العربي، وأحد قادة جبهة التحرير الذين تبنوا الكفاح المسلح ضد الاحتلال البريطاني في عدن، وظل من المنفيين عنها حتى الموت).

ولعلها تاريخيًا أول المكتوب جنوبًا في المذكرات السياسية، تلتها مدة انقطاع طويلة، حتى بداية السنوات الأخيرة وتحديدًا مع بداية العشرية الجديدة من هذا القرن، حين بدأت المذكرات السياسية تكسر جدار الصمت، أو أن الجدار

نفسه قد تهاوى، وأخذ بعض الساسة الجنوبيين في إصدار كتب مذكراتهم، بفضل توفر عوامل جديدة، ومنها -في ظني- ذروة الاختناق السياسي الذي تعيشه اليمن الآن، والتحولات العنيفة في ظل الحرب وما أفرزته من أوضاع، والتي أسقطت كل التحفظات، فضلًا عن خروج جيل كبير من المشهد السياسي الحالي، كان عليه، أي هذا الجيل، أن يسجل كلماته ويثبت سرديته للتاريخ ويقدم شهاداته، وإن جاء جُلها في الوقت الضائع.

ولأنه "لن يدلي بشهاداتهم إلا صانعو التاريخ، الذين يقدمون تحليلاتهم" (كايزرغروبر، 1985، ص 236)، فإن كتابة المذاكرات تغدو في الظروف الطبيعية أو المجتمعات المدنية واجبًا مهمًا ينبغي القيام به، كما ذهب إلى ضرورتها بعض الدارسين، إذ "تمثل حقًا من ذلك النوع الذي يمثل أداؤه أحد الواجبات الملقاة على عاتق كل إنسان يعيش في المجتمع المدني، تمامًا كما يقال عن الانتخاب إنه حق من حقوق المواطنة الملتزمة" (الجوادي، 1997، ص 11). أما في المجتمعات المختنقة بالحساسيات السياسية والاجتماعية، كاليمن الجنوبي، تغدو الكتابة، والمغايرة منها على وجه الخصوص، أشبه بالمجازفة غير المأمونة عواقبها، وهي مما يمكن أن نطلق عليها السردية الغائبة.

**1- مكاوي والكتابة المحرمة**

في مذكرات عبد القوي مكاوي (شهادتي للتاريخ)، وهو كتاب أعلن تجنيسه ضمن كتب المذكرات الشخصية، نجده يقول: "إن هذا الكتاب لم يُعد ليكون كتابًا [عاديًا] وإنما هو جمع لمذكراتي وأحاديثي" (مكاوي، 1979، ص 20)، فضلا عن كتابة الشيخ محمد متولي الشعراوي للمقدمة تحت عنوان "هذه المذكرات"، ويبدو الدفاع عن النفس والرغبة في تفسير الأحداث التاريخية أقوى الدوافع للكتابة.

فالرجل كان قد اضطلع بأدوار سياسية كبيرة في عدن قبل الاستقلال، كان آخرها رئاسته للوزراء لمدة سبعة أشهر، فضلا رئاسته لمنظمة جبهة التحرير ضد الاحتلال البريطاني، وقد واجه موجة كبيرة من النقد والاتهامات السياسية من قبل خصومة بعد إخراجه من المشهد السياسي، من بينها اتهامه بالتعاون مع البريطانيين، فكان لا بد من أن يكتب ما يفند تلك الاتهامات أو الظلم الذي لحق به من قبل خصومه السياسيين، الذين كان خطابهم يتأسس على فكرة "تخوينه"، وعلاقته بسلطات الاحتلال البريطاني في عدن، فجاء خطابه في المذكرات ليتأسس على الفكرة نفسها في اتهام نظام الجبهة القومية في حكمها للجنوب بعد الاستقلال بأنه قدم عدن للاحتلال الروسي (الغزو الشيوعي لجنوب اليمن)، كما يصف ذلك منذ الغلاف.

أي أن كتابة المذكرات وإن كانت تتسم بالدفاع عن النفس، تتخذ خطابًا مضادًا كتبه استجابةً لتداعيات اللحظة؛ ليكون شهادة تاريخية وتفسيرًا للأحداث من وجهة نظره، وقد أعلن في بدياتها أنها جاءت بناءً على طلب جيل من الشباب الذي يريد أن يصغي لهذه الشهادة المكتوبة التي تمنحها قوة الوثيقة، إذ يقول: "وإنما هو جمع لمذكراتي وأحاديثي التي نشرتها في عدد من الصحف العربية.. ونزولا على رغبة شباب الجبهة الوطنية المتحدة، ليكون بمثابة شهادة للتاريخ على ضوء ما توافر لنا من حقائق ومعلومات حول الوضع المأساوي في جنوب اليمن" (مكاوي، 1979، ص 20).

إن ما يسم هذه المذكرات هو اعتمادها على الخطاب المضاد وتقديم سردية نضال الذات في مواجهة سردية التخوين، وتصحيح الأفكار المغلوطة عن علاقته السياسية بالبريطانيين، يقول: "ويزيد في حماسي لتناول هذا الموضوع ما استهدف شخصي من حملة افتراءات كاذبة روجتها أبواق الحزبية الشيوعية، تقول إن الإنجليز هم من أتوا بنا إلى السلطة، وأننا تمردنا عليهم ولحقنا بالثورة عندما لاحت بشائر انتصارها، ونحن هنا نكتفي بعرض جانب من الحقائق من خلال شهادات محايدة، ليعرف القارئ من هم الذين كانوا يواجهون ويتحدون الوجود البريطاني في عقر داره وفي عنفوانه، ومن هم المتسلقون

والعملاء وسارقوا الثورات الذين كانوا يعيشون حياة التسكع والضياع في مقاهي الأرصفة والحانات ويصدرون بلاغات كاذبة عن بطولات وهمية، وينسبون لأنفسهم نضال الشرفاء من مقاتلي الثورة وقادة جبهة القتال المسلح" (مكاوي، 1979، ص 25).

ومن المعلوم تاريخيًا أن حكومته التي لم تدم أكثر من نصف عام أسقطتها السلطات البريطانية في عدن عام 1965، لأنها "راحت تبدي علنًا تعاطفها مع القوى السياسية الوطنية، وفي مقدمتها حزب الشعب الاشتراكي، والجبهة القومية، التي كان أحد قادتها السيد علي أحمد السلامي، يزور من حين إلى آخر، رئيسها عبد القوي مكاوي في منزله بحيّ المنصورة، بعدن، حتى أن الأخير كان يرفض طلب سلطات الاحتلال البريطاني في إحدى جلسات مجلس عدن التشريعي نعت الجبهة القومية بالمنظمة الإرهابية، وسن قانون يحظر أي وجود أو نشاط لها" (باسندوة، 2022، ص 127).

ومن أجل ذلك تحدث مكاوي عن العديد من المواقف والأدلة، منها تضحيته بالمزايا المالية في إحدى الشركات الكبرى في عدن، وتفضيله العمل السياسي الوطني، وعن ثقة الناس به التي دفعت به إلى رئاسة الوزراء في حكومة عدن قبل الاستقلال، وإنجازات حكومته التي وصفتها السلطات البريطانية بـ "حكومة العنف" على الرغم من مدتها القصيرة جدًا، وعن طبيعة الاتصالات التي كانت بينه وبين قادة جبهة التحرير، الذين حاولوا استقطابه، بداية الأمر، عن طريق لقاءات سرية، على وفق فكرة "الاحتواء، أو التخلص منه"، كما يذكر (مكاوي، 1979، ص 34)، والتي أدت إلى مواجهة سياسية عنيفة، ومحاولة التخلص منه، وتفجير منزله، في 28 فبراير 1967، ومقتل أولاده الثلاثة، في هذا الحادث المأساوي (مكاوي، 1979، ص 44).

والحقيقة أن هذه المذكرات اتسمت بالجرأة الشديدة في انتقاد سياسات الجبهة القومية في حكم جنوب اليمن في تلك المدة التي كان نظامها السياسي في أوج عنفوانه.

وفي سردية الاستقلال يتهم مكاوي البريطانيين بـ"تسليم زمام السلطة لفئة ليست على وفاق مع الدول العربية، خاصة مصر، التي خرجت من النكسة غير قادرة على مواصلة الدعم لجبهة التحرير، فقد كان ولا يزال أمامها مهمة مقدسة وهي إزالة آثار العدوان" (مكاوي، 1979، ص 40).

وفي المقابل يذكر أحمد مسعد في مذكراته تعاطف الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود مع الجبهة القومية، فقد كان "يشيد بجهود الجبهة القومية، بقدر ما يشك في قيادة جبهة التحرير، بينما كان ثوار الجبهة القومية يقاتلون من أجل إخراج الإنجليز من عدن، كان حسب قوله، يقاتلون من أجل إخراج الإنجليز من الباب لدخول المصريين من النافذة، وبالتأكيد رأي الملك الراحل متأثر بما يدور في شمال الوطن، وبوجود الأشقاء المصريين" (مسعد، 1999، ص 30).

وهذا يمكن أن يشير إلى مشكلة الاستقلال في إطار الصراع الدولي الإقليمي في المنطقة، بين مصر والسعودية على خلفية دعم كل دولة منهما لطرف في الصراع السياسي في شمال اليمن آنذاك، فهل كان للسعودية دور خفي مع بريطانيا من واقع العداء مع مصر آنذاك لصالح الجبهة القومية؟!

لقد وصف مكاوي مفاوضات استقلال جنوب اليمن بين الجبهة القومية والبريطانيين بالمسرحية المعدة سلفًا، فعندما ذهب اللورد شاكلتون رئيس الوفد البريطاني، بحسب مكاوي، إلى جنيف للتفاوض مع جبهة التحرير كان "مطمئنا كل الاطمئنان إلى أن كل شيء سيسير (بنعومة ويسر) على حد تعبير ونستون تشرشل الذي كان يطلقه دائمًا في حالات كمثل الحالة بين بريطانيا والجبهة القومية" (مكاوي، 1979، ص 41).

وإذا كان من طبيعة المذكرات السياسية التركيز على التفاصيل، وعرضها من وجهة نظر أصحابها، فهي ضرورة يبرر سردها حاجتنا إلى الانتقال من القشرة البادية إلى الطبقة المطمورة، كما أن شيطان المذكرات يكمن في المجمل لا في التفاصيل

المحكية، التي تقدم صورة درامية للتاريخ، ومعدلات التكرار وتنوع المنظورات تجعلنا نلم بأكبر قدر من أجزاء الصورة المتخيلة أو الحقيقة الغائبة، وهذا ما تقدمه أكثر المذكرات السياسية الجنوبية تراجيدية تاريخية عن عشية الاستقلال.

يكتب مكاوي في نهاية مذكراته تفاصيل اللحظات الأخيرة التي جمعت الجنرال (العقيد) ناصر بريك العولقي، قائد جيش اتحاد الجنوب العربي والمندوب السامي البريطاني همفري تريفليان، والحوار الطويل الساخن الذي دار بينهما بحضور كبار الضباط البريطانيين، وهو يقدم في أثناء ذلك سردية محجوبة عن الذاكرة الوطنية، ولم يُكتب لها الانتشار.

وخلاصتها، بحسب شهادة الجنرال ناصر بريك العولقي المنقولة في آخر المذكرات، أنه تفاجأ بإذاعة بيان المندوب السامي البريطاني حول الاعتراف بالجبهة القومية ممثلا وحيدًا لشعب الجنوب، فغضب وقرر الذهاب إلى مكتب المندوب السامي الذي رفض مقابلته، لكنه أصر على مقابلته بقوة، وفي الممر الطويل باتجاه مكتب المندوب السامي يخبر قائد الحرس المندوب عن قدوم الجنرال ناصر بريك إليه، الذي أصبح يعلم بوجود كل من قحطان الشعبي وفيصل الشعبي في مكتب المندوب في تباحث سري، وهما قائدان كبيران في الجبهة القومية، لم يرغبا وقتئذ في رؤيتهما في مكتب المندوب.

وحين دفع الباب كان الاثنان قد ذهبا للاختباء في الشرفة، وحينئذ صرخ الجنرال في وجه المندوب محذرًا من السياسة البريطانية التي قد تتسبب في حرب أهلية بين الجبهتين، وحاول أن يقنعه بالعدول عن هذا الموقف البريطاني الغريب، وخصوصًا بعدما بدا للجنرال أن البريطانيين كانوا يدفعون ببعض ضباط الجيش الجنوبيين للالتحاق بالجبهة القومية وتسهيل مدها بالسلاح واحتلال المواقع.

يحتدم النقاش بين الاثنين، ويهدد المندوب السامي الجنرال ناصر بريك بالمحاكمة العسكرية، يسخر الجنرال منه، ويقول له لم يعد يهمه ذلك في هذه اللحظة الحرجة من التاريخ، ويتهم البريطانيين بالتآمر وزرع المشكلات للبلدان التي يخرجون منها، كما فعلوا في فلسطين، عندئذ تعمد المندوب البريطاني رفع صوته ليسمعه المختبئان في الشرفة، وهو يقول للجنرال "لماذا تكرهون الجبهة القومية؟!" (مكاوي، 1979، ص 242، 243).

وقد تعرض الجنرال ناصر بريك بعدئذ للتنكيل، واغتيل شقيقه، ثم تم تفجير منزله من قبل خصومه السياسيين، وتخبرنا الوقائع التاريخية كيف أفسدت بريطانيا فرحة الاستقلال الوطني، ومارست انتقامها المروع في زرع بذور الحرب الأهلية وتفخيخ الجنوب اليمني بالصراعات الدموية.

على المستوى الكتابي تبدو هذه المذكرات أقرب إلى الأحداث وجمراتها محتفظة بشيء من وميض، في دون عشر سنوات، وربما أقل من ذلك بكثير، وكما أخبرنا في المقدمة أن جلها أو أصلها مقالات منشورة في الصحف العربية، وهذا يخرجها من دائرة النسيان وضعف الذاكرة، حين تكون الكتابة بعد مسافة زمنية طويلة؛ "لأن من المعلوم أن تتأثر ذاكرة الإنسان مهما بلغت قوتها بمرور السنين، وربما تأثرت بوجهات نظر ومعلومات لاحقة لم تكن معروفة لصاحب المذكرات في حينه، وهكذا تختلط الشهادة بمعلومات لم يشاهدها صاحبها" (حسين، وآخرون، 2001، ص 293).

كما أن وسمها بخطاب "شهادة تاريخية" يمنحها سلطة الوثيقة في الحكم القيمي على المشهود زمانيًا، على الرغم من غايتها السجالية في الرد على الاتهامات، أكثر مما يمنحها سمة المراجعة أو الاعتراف التي غالبًا ما تكون بعد مدى زمني بعيد الأحداث.

### 2- انفجار الصمت والكتابة المضادة

تتشكل سردية عشية الاستقلال في مذكرات مكتوبة في السنوات الأخيرة، من قبل أشخاص فاعلين ومؤثرين في صناعة الأحداث نفسها في فترة الاستقلال، ولعلها من أهم المُطَّلَع عليه في المذكرات السياسية الجنوبية في تجاوز الخطوط الحمراء أو

الكتابة المحرمة، ولأنها تقدم الأحداث من وجهة نظر مغايرة للسائد أو لأنها مفارقة للسردية التي ظلت رسمية وراسخة في الخطاب السياسي جنوب اليمن حول الاستقلال خلال عقود طويلة، ومن وجهة نظر أحادية كما قدمتها الجبهة القومية التي حكمت الجنوب من الاستقلال وفي امتداداتها السياسية حتى الوحدة اليمنية عام 1990.

وهذه المذكرات مؤشر على الرغبة في البوح وتقديم شهادات ووجهات نظر كانت محجوبة عن الكتابة في صورة مذكرات شخصية، ونقف في هذا العنوان عند ثلاث مذكرات، هي:

- مذكرات يوسف العزيبي.
- مذكرات محمد سالم باسندوة.
- مذكرات الشريف حيدر بن صالح الهبيلي.

وفق تسلسل صدورها. ولكل واحدة منها خصوصيتها في إطار الفئة التي ينتمي إليها صاحبها، حيث الفدائي، والسياسي، والعسكري، وحيث تنوع الخلفيات الثقافية والاجتماعية لأصحابها، ما انعكس على أسلوب الكتابة وطريقة عرضها للقارئ، وأما الذي يجمعهم، فإنهم ظلوا من المستبعدين والمعارضين لنظام الجبهة القومية وتناسله التاريخي في جنوب اليمن.

لقد انتشرت كتابة المذكرات السياسية في العقدين الأخيرين وربما تزيد في السنوات القادمة، وتحمل كل واحدة منها خطابها ووجهة نظرها معززة بصفة "شهادة تاريخية" كما يفعل الكثيرون، ولكن قلما وُجدت مذكرات لشخصيات كانت جزءًا من صناعة التحولات الوطنية الكبرى وعاشت حياتها العادية، بعيدًا عن صخب السلطة وصراعات اقتسام المناصب الرفيعة.

و(مذكرات يوسف العزيبي) 2013، التي بعنوان "شاهد ومشارك في ثورة 14 أكتوبر 1963" كما يصف نفسه على الغلاف، تلك المذكرات التي ترصد يوميات العمل الفدائي وتفاصيله ضد الاحتلال البريطاني لجنوب اليمن، تعد واحدة من مذكرات من عاشوا الحياة العادية بعد أن طالهم الاستبعاد والتهميش من رفاقهم في النضال الوطني، كما تصف ذلك المذكرات، ولذلك لم تخل من نبرات احتجاج وشعور مرير بالظلم، يدفعه إلى كتابتها، كما يرى ذلك بقوله: "الصمت الذي طال عن ذكر حقائق كثيرة في تاريخ الجنوب اليمني، وأرى في الكتاب إنصافًا لإخواني الفدائيين الذين فارقوا الحياة كمدًا لما أصابهم من معاناة، ولم يتمكنوا من قول الحقائق في ظل حكم شمولي، ولم يتنفسوا إلا في ظل الوحدة، ومع ذلك لم تطرح الحقائق كاملة عن الأحداث، وعمّا جرى لهم" (العزيبي، 2013، ص 9).

والحق أن هذه المذكرات جاءت جريئة في تناولها تفاصيل العمل الفدائي في مرحلة الكفاح المسلح، وجريئة كذلك في خطابها المضاد للجبهة القومية، وتوجيه اتهامات عديدة إلى القادة بالانتهازية والعلاقة السرية بسلطات الاحتلال البريطاني، مستدلا بالعديد من الوقائع، مثل "حمل الأعلام البريطانية ملفوفة حول الجنائز الوهمية على الأكتاف كان له دلالة، لم تفهم منه سوى أنه كان شرط المستعمر كصك استغفار واعتذار تتقدم به الجبهة القومية مقابل الوعد بتسلم السلطة لوحدها، وهذا ما حدث" (العزيبي، 2013، ص 39).

ومنها تجميد نشاطها الفدائي ضد الاحتلال البريطاني وافتعال الخلافات مع فصائل العمل الوطني، ونسبة العمليات الفدائية التي تقوم بها فصائل المقاومة إليها، مثل العمليات التي كانت تقوم بها جبهة التحرير والتنظيم الشعبي في عام 1966وقيامها، أي الجبهة القومية كما يقول، بالبدء باغتيالات الوطنيين في أثناء صراعها مع الفصائل الأخرى (العزيبي، 2013، ص 45).

لقد ذكر فيها العديد من الاتهامات، وهذه الجرأة في كتابة ما هو مسكوت عنه، أو الكتابة المحرمة في العقود السابقة ثمرة الأجواء السياسية في فترة ما بعد التسعينيات، قد أتاحت حرية نسبية في استعادة الماضي من وجهات نظر عديدة، بغض

النظر عن مصداقية وطبيعة المكتوب في هذه المذكرات، وخصوصًا بعد ندوة كتابة تاريخ الثورة اليمنية في عدن في 2007، وما اتصل بها من توصيات بضرورة إعادة تقييم التاريخ السياسي للجنوب، وما كان لمثل هذا اللون من الكتابة النابشة في السرديات الراسخة، أو "انفجار الصمت" أن تخرج لولا تلك الإشارات التي ألقتها ندوة الثورة؛ للبدء أو الإذن بممارسة الكتابة المعززة بالوثائق والتفاصيل.

لقد كتب العزيبي في القسم الأول من مذكراته ما يشبه سيرة ذاتية لحياته وفق تقاليد بدء الكتابة، ثم أدواره الفدائية وسرد يوميات العمل الفدائي وتفاصيله، لكنه في القسم الآخر تمثلت كتابته في التركيز على المختلف عليه أو المسكوت عنه، سرد للتاريخ من وجهة نظر مغايرة، وبروح فدائية في الكتابة كذلك، فقد تحدث عن رفاقه الفدائيين ممن استشهدوا أو اعتقلوا، أو الذين تم اغتيالهم عشية الاستقلال، وخاض دفاعًا عن التنظيم الشعبي الذي ينتمي إليه في مواجهة الاتهامات المضادة، بما في ذلك اتهامه "جماعة الأصنج، وباسندوة" التي لم تكن في البداية متحمسة للكفاح المسلح إلا بعد مؤتمر لندن في 1964 (العزيبي، 2013، ص 105).

أما قواعد التنظيم الشعبي، كما يقول العزيبي بوصفه عضوا فيها فقد "كانت ترى أن الجبهة القومية قيادة قوية بقاعدة ضعيفة، وجبهة التحرير قيادة متخاذلة [ضعيفة] ولكن قاعدتها قوية، التي هي نحن، إذا اعتبرنا الآخرون محسوبين عليهم، برغم تشكلنا المنفصل واللاحق" (العزيبي، 2013، ص 105).

وهذه الفقرة قد نالت مما يوصف بشعبية الجبهة القومية، وانتشارها، قياسًا بشعبية جبهة التحرير، وكفاحها المسلح، وبهذا المعنى كانت مذكرات العزيبي سردية مضادة للراسخ، وخطابا مضادا في الرؤية السياسية للتاريخ الحديث.

وفي مذكراته (البداية نضال من أجل الاستقلال) يبدو محمد سالم باسندوة - وقد كان أحد قادة حزب الشعب الاشتراكي ثم جبهة التحرير، ثم رئيس وزراء أسبق في حكومة الجمهورية اليمنية- متأنيًا في الاستجابة للكتابة، إذ يرى "أن كتابة التاريخ بموضوعية خالصة لا يكون إلا بعد انقضاء فترة مناسبة على الأحداث، واختفاء المؤثرات التي قد تمثل موانع مرهونة بظروفها؛ فالبعد الزمني يتيح للكاتب رؤية أكثر شمولية وأعمق غورًا" (باسندوة، 2022، ص 21).

وهذه المسافة الزمنية بين الأحداث وكتابتها تتحقق عنده في ظل تحقيق وعد بكتابة مذاكرات تستوعب ما فاته في كتاباته السابقة "وتكثف الأضواء على ذكريات ومذكرات جديدة" (باسندوة، 2022، ص 21) وهي في كتابه هذا، بعد أن وجد أنه بات لزامًا عليه أن يكتبه، إذ يقول: "لا إطراءً لجهود أديتها، ولا نيلًا من جهود أداها غيري، ولكن لأضع الوقائع والحقائق بين أيدي الناس؛ لتتحدث وحدها بما هو لي وما هو علي" (باسندوة، 2022، ص 21)، وتعلو هذه النبرة التصالحية مع الذات والآخرين، فيما يشبه الاعتذار الاستباقي عما قد يغضب القارئ أو يحد من أفق توقعاته، فهو، كما يقول: "وإن ما أكتبه شهادة إنما هو نقل أحسبه أمينًا وصادقًا، وليس حكمًا قاطعًا على هذا الحدث أو ذاك الشخص، بل توفيرًا لمصدر من مصادر التاريخ المساعدة على تجسير فجوات البحث والدراسة المعنية بفهم تاريخ اليمن المعاصر في شطره الجنوبي سابقًا" (باسندوة، 2022، ص 22).

وبعيدًا عن هذه الدوافع في كتابة مذاكراته، والتحفظات التي تتجاذبها -بلا شك- حكمةُ الشيخ التسعيني وحَذَرُ السياسي المجرب، جاءت المذكرات بتركيز بالغ على العديد من الأحداث التي تبدأ بمسارات الحياة وأدواره في النضال من أجل الاستقلال ضد الاحتلال البريطاني.

تحدث باسندوة عن الصراع المرير بين التحريريين والقوميين في عدن، وكيف كانت العوامل الخارجية والسلطات البريطانية في اتجاه ترسيخ وثوب الجبهة القومية على السلطة في الجنوب، وعن انحسار الدور المصري في الجنوب بعد خروجهم من الشمال بناءً على الاتفاقات مع السعوديين، ما جعل حليفتهم جبهة التحرير تشعر "بضربة أخرى قاصمة منيت

بها، ذلك أنه ترتب عليه أن صار ظهيرها الأساسي (مصر) بمنأى عن مسرح الأحداث، مما جعل قدرته على التأثير في ما كان يجري على الساحة محدودة للغاية، بعد أن ترك الأرضية التي كان يمكنه منها ممارسة ضغوط مؤثرة على الوضع الجديد في الجنوب اليمني" (باسندوة، 2022، ص 252)، ويخلص في مفارقة الصعود والهبوط بين الجهتين اللدودتين، إلى القول "بأن يد القدر كان لها دور حاسم في انتصار الجبهة القومية وهزيمة منافستها جبهة التحرير" (باسندوة، 2022، ص 252).

وعلى الرغم من هذا التسليم القدري الذي يبطن أكثر مما يفصح، فإنه يصف الأجواء الإيجابية التي سادت مفاوضات الجهتين في شهر الاستقلال: الجبهة القومية برئاسة فيصل عبداللطيف الشعبي، وجبهة التحرير برئاسة عبد القوي مكاوي، في القاهرة حتى السابع من نوفمبر، ومن بينها الاقتراب من الاتفاق على تشكيل وفد مشترك للتفاوض مع البريطانيين حول انتقال السطلة إلى حكومة مشتركة لإدارة الجنوب، لكن هذا الاتفاق لم ترض عنه بريطانيا.

وبحسب باسندوة، فقد أفشلته، وجاءت صدمة بيان المندوب السامي البريطاني همفري تريفليان "الذائع الصيت في فن حبك الدسائس ورسم المؤامرات وإخراجها إلى حيز التنفيذ" (باسندوة، 2022، ص 252) بالاعتراف بالجبهة القومية فقط، والاتفاق معها وحدها على تسلم السلطة في الجنوب، وبحسب باسندوة وأصحاب هذه السردية، فقد تعرض التحريريون للخداع والانتقام البريطاني.

وفي المجمل لم يكن باسندوة السياسي الوحدوي يرغب في إغضاب أحد، ما دفعه تحت سلطة خطاب "الكتابة المنصفة" أن يقول: "لئن كانت الجبهة القومية تتحمل تاريخيًا مسؤولية استمرار الانفصال، وبقاء التجزئة، فإن ذلك لا ينبغي أن يحملنا على تجاهل دورها الكبير في توحيد الشطر الجنوبي ذاته، وذلك لعمري، منجز وطني مهم لا يجوز التقليل من أهميته، نظرًا لأن الجنوب اليمني كان مجزأً إلى مستعمرة عدن، وثلاث وعشرين سلطنة وإمارة ومشيخة" (باسندوة، 2022، ص 254)، ما يجعلنا بصدد طرح سؤال عن موقف جبهة التحرير من وحدة اليمن! ودور بريطانيا نفسها في توحيد إمارات ومشيخات الجنوب في كيان سياسي اسمه اتحاد الجنوب العربي!.

أحدث المذكرات السياسية الجنوبية مذكرات اللواء الشريف حيدر بن صالح الهبيلي 2024، وهو من كبار الشخصيات العسكرية في جنوب اليمن قبل الاستقلال، وقد شغل منصب رئيس هيئة الأركان لجيش الجنوب العربي في 1967، وقائد قوة السلام العسكرية المعارضة لحكم الجبهة القومية مدة ست وعشرين سنة، مما يمنح مذكراته قيمة خاصة، بوصفه أحد الموالين لجبهة التحرير، والمؤثرين في تاريخ الجنوب، فضلا عن مكانته الاجتماعية، فهو أحد أفراد الأسرة الحاكمة في إمارة بيحان الهبيلية (من 1939 إلى 1967) إحدى إمارات وسلطنات اتحاد الجنوب العربي، التي سقطت بقيام دولة الجنوب عقب الاستقلال في 1967.

منذ العنوان الذي حدد به المؤلف هوية كتابه في كلمة المذكرات، التي تحتل بؤرة إبراز في بنية العنوان، ترفده العبارة الشارحة للعنوان "سبعون عامًا في رحاب الوطن"، التي تشير إلى سعة المدى الزمني المستعاد في المذكرات في حيّز من العلاقة بين الذات والوطن، وتشكلها في فصول خمسة:

جاء الفصل الأول بمثابة سرد تأطيري للحياة الخاصة والأسرة وتاريخ إمارة بيحان، أما الفصول الأربعة الباقية، فتغطي مدة زمنية من حياته العسكرية والسياسية منذ عودته إلى عدن، بعد تخرجه من الكلية الحربية الأردنية 1956، والتحاقه بجيش الجنوب العربي، وصولا إلى توليه منصب رئيس أركان جيش اتحاد الجنوب العربي في 1967، وحتى سقوط صنعاء بيد الحوثيين في عام 2014.

وهذه مساحة زمنية كبيرة وتحولات صاخبة جسيمة، جاءت المذكرات تحمل كل تقلباتها العنيفة، وتبرز ملامح الذات الكاتبة وسط كل هذه التحولات، مشفوعة بالعديد من الصور والوثائق، يتضافر فيها السرد اللغوي والسرد البصري، وقد رأينا عناية العديد من كتاب المذكرات بنشر وثائقهم وصورهم في ملحقات بأواخر كتبهم، وهو تقليد منتشر.

غير أن ما يميز استخدام الصورة الفوتوغرافية، في مذكرات حيدر الهبيلي، هو تناغم توزيعها على حسب الموضوعات في أثناء التوثيق، "وغني عن البيان أن هذا النمط من التوثيق [الفوتوغرافي] لا مجال فيه لعدم الموضوعية أو الأمانة، كما أنه يتفادى أي ضوابط على نشر المذكرات، فالصور لغة في التوثيق واضحة، وتعبر أصدق تعبير عمّا فيها" (حسين، وآخرون، 2001، ص 143)، وواضح أن الهبيلي قد احتفظ بألبوم خاص من الصور الشخصية والنادرة، ولعلّ وضعه الاجتماعي أعانه على هذا الوعي، في ظل بيئة بدوية ومحلية لم تعن كثيرًا بالصورة.

والذي يعنينا من هذه المذكرات هو الفصل الثاني، المخصص لمدة الاحتلال البريطاني وحتى لحظة الاستقلال، وقد أرجأ إليه المؤلف إعلان ميثاقه التعاقدي مع القارئ حول موضوع مذكراته عامة، إذ كتب: "أن الأمر في هذه المذكرات يتعلق بمذكراتي وعلاقتي بالجيش والدولة منذ بدايات حياتي، ومتعلق كذلك بشهادتي عن إمارة بيحان وحكم بريطانيا لعدن، ومسيرتي بعد ذلك إلى اليوم، وما تلا ذلك من أحداث ومشاركاتي فيها، فسأتابع الحديث من هذه الزاوية وما يرتبط بها" (الهبيلي، 2024، ص 65).

وعلى إثر هذا الميثاق تتناسل سرديته في التدرج من الحياة العسكرية إلى الأدوار السياسية، حاملة معها خطابه إلى القارئ، في مواجهة خطاب التخوين الذي طاله ورفاقه من أبناء الأسر الحاكمة في سلطنات ومشيخات الجنوب، الذين تم وصفهم بعملاء الاستعمار، ويدفع هذا الاتهام السياسي بالدليل على مواقفه الوطنية، وعلى انخراط هذه الفئة الاجتماعية في النضال الوطني، وخصوصًا في الجيش، وكيف تنامى شعورها الوطني بعد العدوان الثلاثي على مصر، وفي سنوات المد القومي العربي، إذ يقول:

"فقد برهنت الأحداث في عدن، والمحميات أن الوطنية، والحرية، والتضحية ليست مقتصرة على شريحة معينة من المجتمع، فقد أثبتت الانتفاضات الحزبية، والقبلية، وانتفاضة المثقفين التي قامت على ساحة الجنوب أنه كان وراءها، أيضًا، ممن ينتمون إلى أسر السلاطين والأمراء والمشائخ، وكنت من ضمن هذه المجموعات" (الهبيلي، 2024، ص 69).

وبهذا الخطاب نجد أن الهبيلي يحاول أن يدحض النظرة التي كانت تحاول الجبهة القومية أن تلصقها بهذه الفئة، فقد كان خطاب الجبهة القومية يرتكز على عدم الثقة بهذه الفئة؛ بسبب جذورها الاجتماعية، والتحريض عليها، ولعل ذلك يتصل بمسألة التعبئة الشعبوية، التي انتهجها القوميون، في مقابل النخبوية التي كان يتسم بها التحريريون.

ونجده يتخذ من تمرد قوات الجيش والأمن في يونيو 1967، ضد قوات الاحتلال البريطاني مناسبة للتذكير بدور هذه الفئة في قوات الجيش والأمن، ويذكر كيف كانت محاولة إقالته من رئاسة أركان جيش اتحاد الجنوب العربي الذي تشرف عليه بريطانيا، مع مجموعة من الضباط اليمنيين الجنوبيين المتضامنين معه، بسبب مطالبته البريطانيين بالقيام بإصلاحات ذات طابع سياسي وطني، وأنه كان الجذوة التي اشعلت لهيب الاحتجاجات والتمرد العسكري.

وكيف حاولت بريطانيا استثمار هذه الانتفاضة في ضرب القوى الوطنية في الجيش بما عُرف بأزمة العقداء المقالين، وخلق توتر واصطدام في داخل الجيش يمهد، كما يقول، "لتسليم الاستقلال للجبهة القومية المتطرفة، والتي ارتمت في أحضان المعسكر الشرقي وإنهاء حكومة الاتحاد (السلاطين والأمراء والمشائخ) وإبعاد جبهة التحرير برئاسة الأستاذ عبد القوي مكاوي عن المشاركة في حكومة استقلال الجنوب" (الهبيلي، 2024، ص 95)، وقد ذكر تفاصيل هذه الانتفاضة أو التمرد العسكري بدقة متناهية، على الأقل من خلال مشاركته المحورية في صناعة أحداثها، بوصفها الحقيقة الغائبة.

ونجده يقول إن المذكرات والتقارير البريطانية التي كتبها الساسة والعسكريون البريطانيون فيما بعد عن هذه الأحداث كانت منصفة، إذ تتحدث عن دوره المحوري في هذه الانتفاضة، "والمؤسف أن العرب الذين كتبوا عن يوم 20 يونيو

1967 قد تجاهلوا دوري، أنا وزملائي، في هذه الأحداث التي وقفت وراءها وتزعمتها، وأعتبر ذلك جزءًا من تاريخ شعبنا وأمتنا العربية، وليس تاريخًا شخصيًا يخصني أو يخص أسرتي" (الهبيلي، 2024، ص 85).

ويمضي في سرد تفاصيل الانتفاضة ويومياته، حيث تبدو الذات وهي تخوض دفاعًا عن نفسها، عاكسة وجودها الفعلي في بؤرة الحدث الكبير، الذي ظلت تتدارك تداعياته حتى لا يصبح نزاعًا مسلحًا بين القوى الوطنية في الجيش، وهو الأمر الذي حاول أن يمهد له البريطانيون.

لقد كان حيدر الهبيلي وقتئذ قريبًا جدًا إلى دوائر صنع القرار، بل كان في مركزها وغرفة عملياتها، وذلك ما أتاح له تقديم سردية مغايرة للأحداث عشية الاستقلال، وهو موقع لم يتح لغيره من كتاب المذكرات السياسية الجنوبية، باستثناء عبد القوي مكاوي الذي شغل منصب رئيس وزراء حكومة اتحاد الجنوب العربي في الفترة نفسها، وفي نظري فإن هذا مما يعزز من القيمة التاريخية، والسياسية لمذكراته، ويمنح سرديته عن الاستقلال حقها في الوجود.

تأتي سردية الاستقلال عند حيدر الهبيلي متسقة مع ما كتبه كل من مكاوي والعزيبي في مذاكراتهما، بل جاءت أكثر جرأة وصراحة في توجيه الاتهام إلى البريطانيين والقوميين بالتآمر على استقلال الجنوب، وتسليمه للجبهة القومية، واستبعاد مختلف القوى الوطنية مثل جبهة التحرير التي كانت تتبنى "الكفاح المسلح ضد الاحتلال البريطاني" نكاية بها وبالمصريين الذين كانوا يؤيدون جبهة التحرير، والتي كانت على عداء تاريخي مع البريطانيين.

ووفق ما كتبه الهبيلي في مذكراته، فقد جاء ذلك أيضًا، بسبب التحول في السياسة البريطانية نتيجة فوز حزب العمال البريطاني بالانتخابات، ورغبتها في التخلص من اتفاقات بريطانيا مع حكومة اتحاد الجنوب العربي بشأن ترتيبات استقلال الجنوب "مما أدى بحكومة العمال البريطانية إلى التملص من الوعود التي وعدت بها بريطانيا (حزب المحافظين) سلاطين الجنوب العربي المتمثلة في الاعتراف بدولة اتحاد الجنوب العربي على المستوى الدولي، بالإضافة للدعم المالي الذي سيقدم للحكومة الجديدة بمبلغ 60 مليون جنيه إسترليني، تعهدًا من بريطانيا بتقديمه لدولة الاتحاد بعد الاستقلال ولمدة خمس سنوات" (الهبيلي، 2024، ص 96).

وبناء على هذه اللحظة اجتمع التفكير البريطاني في "التملص" من الالتزامات التاريخية تجاه الجنوب، مع التفكير القومي في الوثوب على السلطة في الجنوب، فنتج عن ذلك وضعية جديدة من الانتهازية والانتقام، لأنه "وفي الوقت ذاته لا ترغب بريطانيا الخروج من الجنوب العربي مهزومة، خصوصًا من الزعيم العربي جمال عبدالناصر، فقامت بريطانيا بدعم حزب جنوبي يساري متطرف، وسلمته للاتحاد السوفيتي تملصًا من دعم الحكومة البريطانية السابقة المتفق عليه بين حزب المحافظين وحكومة اتحاد الجنوب العربي، وكذلك نكاية بحزب جبهة التحرير المدعوم والمحسوب على الرئيس المصري جمال عبدالناصر، وخوفًا من تسليم الاستقلال إلى جبهة التحرير، فيصبح باب المندب تحت سيطرة مصر عبدالناصر" (الهبيلي، 2024، ص 97).

ولإخراج هذه السردية من مجرد الفرضية والادعاءات والاتهامات إلى مجال الحقيقة المؤكدة، ذكر نص وثيقة التعاون السري بين المخابرات البريطانية والجهة القومية في عدن، وهي وثيقة خطيرة مصنفة في الأرشيف السري البريطاني برقم ( .P 178. C (56). الوثيقة: 121) وهي مكونة من عشرة بنود صادمة، وخلاصتها: منح أفراد الجبهة القومية بطائق تسهل حركتهم بأسلحتهم دون تفتيش، وتَعِد الجبهة القومية من جانبها بعدم استخدام السلاح ضد البريطانيين (تعاون وتخادم)، وتقديم الجبهة القومية معلومات استخباراتية عن أفراد جبهة التحرير ورابطة أبناء الجنوب إلى البريطانيين، وتسهيل اعتقالهم من قبل القوات البريطانية (تنسيق أمني)، وأن تقوم بريطانيا بتزويد الجبهة القومية بأجهزة اتصال لاسلكي، وبكميات من السلاح (دعم لوجستي)، وترتيب مظاهرات في كل المدن ضد الحكام من أعضاء حكومة اتحاد الجنوب ومضايقتهم (تحريض)، وتوجيه

سياسة إعلامية بريطانية لصالح الجبهة القومية، ونسب أعمال المقاومة إليها (تلميع)، وعدم إلزام الحكومة البريطانية بأي اتفاقات سابقة قطعتها لحكومة الاتحاد بمجرد تشكيل حكومة الجبهة القومية الجديدة (تنازل)، وإشعار بريطانيا جميع حكام ولايات الجنوب العربي أنها لن تستطيع حمايتهم، وتحثهم على ترك ولاياتهم مع أسرهم باتجاه عدن تمهيدًا لترحيلهم إلى الخارج (تهجير)، وعقد اجتماعات مشتركة كل عشرة أيام بين البريطانيين والجبهة القومية لمراقبة التنفيذ وضمان التواصل (عمليات مشتركة) (الهبيلي، 2024، ص 98-101).

إذن وفق هذه السردية التي تتقاطع مع الأحداث السياسية التي عاشها الجنوب عشية الاستقلال وبُعيده، ومع العديد من الكتابات التاريخية لباحثين يمنيين (الهبيلي، 2024، ص 102)، كان تسليم استقلال الجنوب اليمني للجبهة القومية مجرد مؤامرة دولية من أجل خلق نظام سياسي يساري متطرف في جنوب الجزيرة العربية، وكان لا بد من إخراج المعارضين لتوجهات الجبهة القومية من المشهد السياسي، لتنفرد وحدها بتشكيل نظامها السياسي وتنفرد كذلك بتشكيل سرديتها في الذاكرة الجمعية، حتى جاءت كتابة المذاكرات في تقديم شهادات من أشخاص عاشوا الأحداث، وربما كانوا جزءًا رئيسًا منها، ما يسمح بإعادة النظر في تاريخ اليمن الحديث، والخروج من ظلال السرديات الراسخة والرؤى اليقينية إلى فهم مختلف لطبيعة الأحداث ومساءلاتها بوعي نقدي موضوعي.

**النتائج:**

إن كتابة المذكرات في اليمن -على الرغم من عدم انتشارها، قياسًا بالأقطار العربية الأخرى- يمكن أن تكون مادة خصبة للدراسة والتحليل من الناحية الثقافية والنفسية والاجتماعية، ويمكن أن تساعدنا المذكرات السياسية على فهم التحولات السياسية وملابساتها وإعادة بناء أحداثها ووقائعها المتداخلة، و"من هنا تتحدد أهمية المذكرات في الوثائق التاريخية، فهي تكشف عن مستور أو خبيء.. مما قد لا يتيسر الكشف عنه بدون هذه المذكرات" (عبدالعظيم، 1989، ص 23).

ويُعدُّ موضوع استقلال الجنوب اليمني في عام 1967 من الاحتلال البريطاني الذي دام قرابة 129 سنة من أكثر الموضوعات الشائكة في الذاكرة الجمعية الوطنية، إذ ظلت العديد من أحداثه وتفاصيله غائبة في مخبوء الذاكرة، أو مسكوتا عنها، إلا في حدود نسبية من أدب المذكرات، بفضل خصوصيته الموضوعية التي تجعله أدبًا عابرًا للنوعية، وكتابة بينية تتموضع بين الأدب والتاريخ، ومجالا خصبًا لإنتاج السرديات والسريات المضادة.

ومن هذه الخصيصة حاول البحث أن يرتاد سرديات المذكرات السياسية التي كتبها ساسة جنوبيون ممن شاركوا بأنفسهم في الوقائع والأحداث المتصلة بالاستقلال، بالتوقف عند سرديتين متصارعتين:

السردية الأولى ونَصِفُها بالسردية الراسخة للاستقلال، لأنها نشأت في ظل السلطة الحاكمة في الجنوب، ومن ثم فهي مذكرات تحمل في خطاب السلطة، مما كتبه رجالاتها الذين هم إلى لحظة الكتابة امتداد تاريخي للجبهة القومية، ويقدمون وجهة نظرها، ومن الواضح أنه قد تأخرت كتابتها في مذكرات شخصية، ربما لأنها قد رسخت وجودها في المروي التأريخي بوصفها السردية الرسمية التي لا تحتاج إلى شهادات فردية تدعمها.

والسردية الأخرى، سردية مضادة كامنة في مذكرات من ينتمون لتيار جبهة التحرير المستبعد من السلطة في عشية الاستقلال، ومن ثم ظلت سردية مسكوتا عنها، وتنافح عن نفسها في كتابات أصحابها.

ومن اللافت للنظر في المذكرات السياسية الجنوبية عامة، على الرغم من سرديتها المتشابكة، غياب النقاش أو تعليق بعضها على بعض، ما يعني عدم اطلاع بعضهم على ما كتبه الآخرون، ما أفقدها حيوية وتفاعل المذكرات، سواء في إطار السردية الواحدة أو في إطار السردية الأخرى المضادة، حتى في أكثر الكتابات حداثة، وربما يكون السبب تجنب الجدل أو

النقاش في ظل الشعور الواضح بكراهة هذا اللون من الكتابة، وخشية إثارة الحساسيات والصراعات، بوصفها، أي المذكرات، في ظل الثقافة التي تنتجها على استحياء، كتابة محرمة تثير الأحقاد، وتنبش في جراح التاريخ، لكن المفارقة أن هذه الثقافة نفسها أكثر انفتاحًا على الحروب والصراعات والأحقاد والتآمر!.

**المرجع:**


باراس، خ. (2024). *أيها الماضي وداعًا: ذكريات وخواطر*، مطابع التوجيه المعنوي.

باسندوة، م. س. (2022). *البداية نضال من أجل الاستقلال*، مكتبة خالد بن الوليد.

الجوادي، م. (1997). *مذكرات الهواة والمحترفين فن كتابة التجربة الذاتية*، دار الشروق.

حسين، خ. إ. (2001). *المذكرات الشخصية مصدرًا لكتابة التاريخ*، بيت الحكمة.

رشوان، ن. (2000). *الوعي الحضاري وأساطير التصور*، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

الشعيبي، م. ع. (1973). *اليمن الجنوبية خلف الستار الحديدي تحليلات وتأملات وذكريات*، د.ن.

الصلاحي، ص. ف. (2021). *ذكريات عمران الفدائي والإنسان*، د.ن.

عبدالعظيم، ر. (1989). *مذكرات الساسيين والزعماء في مصر* (ط.2). مكتبة مدبولي.

العزيبي، ي. (2013). *مذكرات يوسف العزيبي*، د.ن.

القاضي، م. والخبو، م. والسماوي، أ. والعمامي، م. ن. وعبيد، ع. وبنخود، ن. ا. والنصري، ف. ومهوب، م. آ. (2010). معجم *السرديات* (ط. 1). دار محمد علي للنشر، ودار الفارابي، ومؤسسة الانتشار العربي، ودار تالة، ودار العين، ودار الملتقى.

كايزرغروبر، د. (1985). المذكرات (طاهر حجاج، ترجمة) *الأدب والأنواع الأدبية*، دار طلاس.

الكميتي، س. ع. (د.ت). *حياة مناضل من تاريخ شعب*، د.ن.

محمد، ع. ن. (2019). *ذاكرة وطن*، دار رياض الريس.

آل مريع، أ. (2010). *السيرة الذاتية: مقاربة في الحدِّ والمفهوم* (ط.3). دار صامد.

مسعد، أ. ع. (1999). *فصول من ذاكرة الثورة والاستقلال*، د.ن.

مكاوي، ع. (1979). *شهادتي للتاريخ*، د.ن.

مكدونيل، د. (2001). *مقدمة في نظريات الخطاب* (عزالدين إسماعيل، ترجمة) المكتبة الأكاديمية.

الهبيلي، ح. ب. ص. (2024). *مذكرات حيدر بن صالح الهبيلي*، مؤسسة أروقة للدراسات والنشر.

اليافعي، م. ب. ق. ب. ع. (2010). *الأهداف السامية والأحداث الدامية*، دار جامعة عدن.


**Arabic References**


Āl Murayyiʿ, U. (2010). *al-sīrah al-dhātīyah: muqārabah fī alḥddi wa-al-mafhūm* (3rd ed.). Dār Ṣāmid.

Bārās, Kh. (2024). *ayyuhā al-māḍī wdāʿan: Dhikrayāt wa-khawāṭir,* Maṭābiʿ al-Tawjīh al-Maʿnawī.

Bāsndwh, M. S. (2022). *al-Bidāyah Niḍāl min ajl al-istiqlāl,* Maktabat Khālid ibn al-Walīd.

al-Jawādī, M. (1997). *Mudhakkirāt al-huwāh wa-al-muḥtarifīn Fann kitābat al-tajribah al-dhātīyah*, Dār al-Shurūq.

Ḥusayn, Kh. I. (2001). *al-mudhakkirāt al-shakhṣīyah mṣdran li-Kitābat al-tārīkh*, Bayt al-Ḥikmah.

Rashwān, N. (2000). *al-Waʿy al-ḥaḍārī wa-asāṭīr al-taṣawwur,* al-Hay'ah al-ʿĀmmah li-Quṣūr al-Thaqāfah.

al-Shuʿaybī, M. ʿA. (1973). *al-Yaman al-janūbīyah Khalaf al-Sattār al-Ḥadīdī taḥlīlāt wa-ta'ammulāt wa-dhikrayāt,* D. N.

al-Ṣalāḥī, Ṣ. F. (2021). *Dhikrayāt ʿUmrān al-fidā'ī wa-al-insān*, D. N.

ʿBdālʿẓym, R. (1989). *Mudhakkirāt alsāsyyn wālzʿmāʼ fī Miṣr* (2nd ed.). Maktabat Madbūlī.

Alʿzyby, Y. (2013). *Mudhakkirāt Yūsuf alʿzyby*, D. N.

al-Qāḍī, M. wālkhbw, M. wālsmāwy, U. walʿmāmy, M. N. wʿbyd, ʿA. wbnkhwd, N. A. wālnṣry, F. wmyhwb, M. Ā. (2010). *Muʿjam al-Sardīyāt* (1st ed.). Dār Muḥammad ʿAlī lil-Nashr, wa-Dār al-Fārābī, wa-Mu'assasat al-Intishār al-ʿArabī, wa-Dār Tālah, wa-Dār al-ʿAyn, wa-Dār al-Multaqá.

Kāyzrghrwbr, D. (1985). *al-mudhakkirāt* (Ṭāhir Ḥajjāj, tarjamat) al-adab wa-al-anwāʿ al-adabīyah, Dār Ṭalās.

al-Kumaytī, S. ʿA. (N. D). *ḥayāt munāḍil min Tārīkh shaʿb*, D. N.

Muḥammad, ʿA. N. (2019). *dhākirat waṭan*, Dār Riyāḍ al-Rayyis.

Musʿad, U. ʿA. (1999). *fuṣūl min dhākirat al-thawrah wa-al-istiqlāl*, D. N.

Makkāwī, ʿA. (1979). *Shahādatī lil-tārīkh*, D. N.

Mkdwnyl, D. (2001). *muqaddimah fī naẓarīyāt al-khiṭāb* (ʿIzz Ismāʿīl, tarjamat) al-Maktabah al-Akādīmīyah.

Alhbyly, Ḥ. b. Ṣ. (2024). *Mudhakkirāt Ḥaydar ibn Ṣāliḥ alhbyly*, Mu'assasat Arwiqah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr.

al-Yāfiʿī, M. b. Q. b. ʿA. (2010). *al-ahdāf al-Sāmīyah wa-al-aḥdāth al-dāmiyah*, Dār Jāmiʿat ʿAdan.